بسم الله الرحمن الرحيم

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٥٢ ـ شوال ١٤٣٢هجرية قمرية

شهريور ١٣٩٠هجرية شمسية / سبتمبر (ايلول) ٢٠١١

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الطباعة: حسين المندلاوي / على حروف (**قلم برتر**) خاص بالنشر المحترف

النسخة رقم (٢) من www.MaryamSoft.com

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.IranArab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥. المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٥٢

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ٤

حافظوا على الوجه الأصيل للإسلام ١٣

آراء الشيخ محمد الغزالي في التاريخ الإسلامي.. ..... ١٨

عبدالله بن سبأ ٣٥

الأمويون وأسلوبهم في الحكم ٤٠

المجتمع الإسلامي في العصر الأموي ٥١

موضوعات الشعر في العصر الأموي ٦٤

الوحدة الفلسطينية... فريضة شرعية وضرورة وطنية ٨٦

فلسطين في خطاب الإمام الخميني..... ٩٣

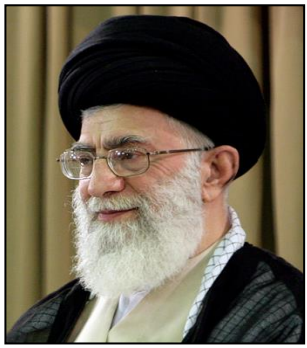

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

كلمة السيد القائد أمام مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية بمناسبة عيد الغدير

١٩٩٧/٤/٢٦م

• ما يبقى خالدًا هو مضمون حادثة الغدير وعطاء هذا المضمون في مختلف العصور • الحكومة التي لا ترتبط بالشعب ليست حكومتها بولاية • القدرة التي يمتلكها نظام الجمهورية الإسلامية مستمدة من معنى الولاية • أمير المؤمنين لم ينفصل أبدًا عن الارتباط بالناس • طواغيت العالم يقفون عاجزين أمام جبهة من شعب ودولة لا أثر للتهديد فيها • لابدّ من العمل من أجل الناس • لابدّ أن يشعر الناس بأن المسؤولين أمناء على ثروات البلد • لو توفّرت العلاقة المطلوبة بين المسؤولين والناس فيستوفر إمكان وضع أسس الحضارة الإسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم. أبارك من الصميم هذا العيد السعيد العظيم لكم أيها الحضار الكرام وللشعب الإيراني الكبير وللمسلمين جميعًا ولطلاب الحق في العالم.

في رواياتنا ذُكر هذا العيد باسم «عيد الله الأكبر»، نعم الأمر مهم والحادثة عظيمة. شخصية كبيرة مثل أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بكل ما يحمل من خصائص فريدة ينعقد له اجتماع تنصيبه لولاية المسلمين. لذلك من المناسب أن يُحتفل بتولّي مَنْ تحبّه وتهواه منصبًا ومسؤولية ورئاسة. هذا كما قلت أمر مهم .. غير أن مسألة الغدير أكبر من هذه وأهم.

مسألة الغدير لا تكتسب أهميتها فقط من تولّى شخصية مثل أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ــ هذا الرجل الفريد في عالم الوجود ـ ولاية أمر المسلمين، بل ـ إضافة إلى ذلك ـ ثمة جانب آخر في هذه الأهمية نريد أن نقف عنده وهو مبدأ الولاية. ولعل هناك جوانب أخرى مهمة أيضًا. مسألة الولاية لا تقل أهمية عن تولية أمير المؤمنين باعتباره شخصًا لإمامة المسلمين. حديثنا عن المضمون الخاص للولاية في الإسلام.

ما يبقى خالدًا على مرّ الأيام ويدرّ بالعطاء والدرس للبشرية ويرسم طريق حياتها ومستقبلها هو المضمون الذي تحمله واقعة الغدير. أن يصدر من الله سبحانه أمرًا خاصًا لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يتعين بموجبه تنصيب «ولي» بهذه الخصوصيات إنما هو مسألة هامة ودرس كبير من دروس الإسلام. لعلنا نستطيع أن نقول أن أساس الإسلام وقاعدته هو هذا القسم من القضية. المضمون الحقيقي للغدير تبلغ أهميته درجة بحيث يقول سبحانه لنبيه الكريم: ﴿وَ إِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

حقيقة الغدير

ماهي حقيقة الغدير وحقيقة هذا التعيين حتى يبلغ هذه الدرجة من الأهمية؟ لهذه القضية أبعاد مختلفة...

البعد الذي أردنا أن نقف عنده اليوم، مضمون كلمة «الولاية» التي تكررت في خطبة الغدير: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

النبي الأكرم في هذا الحادث التاريخي وفي هذا التنصيب الكبير عبّر عن الحكومة بكلمة «ولاية». في اللغة العربية واللغات الأخرى «الحكومة» تعني أن يكون فرد أو جماعة على رأس النظام يحكمون وأفراد المجتمع محكومون ومطيعون. وثمة تعبير آخر هو «السلطنة» أي فرض السلطة والأخذ بزمام القوة. وفي الإسلام الكلمة المحورية في هذا المجال هي «الولاية» سواء في النص المذكور أو في قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾. الحكومة عُبّر عنها بالولاية.

مفهوم الولاية

الولاية مفهومها عجيب. أصل معنى الولاية اقتراب شيئين. حين يُبرم حبلين بحيث يصعب انفصالهما تستعمل هنا كلمة «ولاية». الولاية تعنى الاتصال والارتباط والقرب بين شيئين بصورة متماسّة متماسكة. وذكرت أيضًا لكلمة ولاية معاني المحبة والقيمومة.. وأمثالها من المعاني التي تشترك في معنى القرب بين جانبين. فالمحبّة على سبيل المثال تعني ارتباط المحبّ والمحبوب بارتباط معنوي يصعب انفصاله.

الإسلام يعبّر عن الحكومة بلفظة «ولاية» والشخص الحاكم يسميه والي، و ولي، وموالى.. أي من اشتقاق كلمة الولاية. ماذا يعني ذلك؟ معناه أن الحاكم في النظام السياسي الإسلامي على ارتباط واتصال وثيق بمن تحت حكومته. وكل حكومة ليست على هذا الغرار ينعدم فيها مفهوم الولاية، وتختلف عن الحاكمية التي قررها الإسلام. **الحكومة التي لا ترتبط بالشعب ليست حكومتها بولاية، لو مارست حكومة أسلوب الخوف والإرعاب مع الناس بدلاً من الحبّ والالتئام والالتحام فليس لها ولاية. لو جاءت حكومة عن طريق انقلاب عسكري فليس لها ولاية. لو استلم أحد زمام الأمور بالوراثة لا بالفضائل والخصائص التي يجب أن تتوفر في الحاكم، فليس هذا بولاية**. الولاية تتحقق حين يكون ارتباط الوالي والوليّ بمن يتولاهم ارتباط حبّ وقرب. وهكذا كان الأمر بالنسبة لرسول الله(ص): ﴿بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ فالرسول (ص) انبثق من الناس أنفسهم ليتحمل مسؤولية الولاية. هذا أساس الحاكمية في الإسلام.

طبعًا ثمة معايير أخرى لابد من توفرها في الولاية. و إذا كان الارتباط بالناس خاليًا من تلك المعايير فليست هذه أيضًا بولاية. الحكومة في الإسلام حكومة ولائية، والولاية تعني الحكومة، ولكن تعبير الولاية تعبير لطيف يتناسب مع شخصية الإنسان وكرامته. كل الحسابات في النظام السياسي الإسلامي تدور حول الناس وكرامتهم ومصالحهم .. عندئذ تتحقق الولاية الإلهية، إنها الارتباط بالناس.

لذلك ترون أن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام الذي يمثّل المصداق الكامل للولي والولاية الإسلامية، لم ينفصل أبدًا عن حالة الارتباط والاتصال بالناس والانسجام معهم، لا في مرحلة إبعاده عن ممارسة الحكم والولاية (طبعًا كانت ولايته المعنوية التي يتضمنها مفهوم الإمامة في المعتقد الشيعي قائمة وليس لها ارتباط بالولاية الظاهرية) ولا في المراحل الأخرى، لم يكن ارتباطه بالناس منقطعًا، بل كان مع الناس ومنهم ولم يبتعد ولم ينزو عن الساحة الاجتماعية. وحين يتولى الحكم يتولاه حاكمًا شعبيًا بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

تجربة الجمهورية الإسلامية

هذا ما جرّبناه في نظام الجمهورية الإسلامية على مستوى رفيع، والقدرة التي يمتلكها النظام المقدس للجمهورية الإسلامية مستمدة من هذا المعنى. المسؤولون والماسكون بزمام الأمور في البلد مرتبطون بالناس ومتصلون بهم بكل معنى الكلمة. مرتبطون بالناس عاطفيًا برباط الحبّ، ومرتبطون فكريًا، أي يمثلون فكر الشعب الإيراني. طبعًا في كل شعب أفراد يحملون أفكارًا شاذة عقديًا ودينيًا يختلفون فيها عن أكثرية الناس، غير أن ما يبلور هوية الشعب الإيراني يتجلّى في المسؤولين. المسؤولون هنا في الواقع هم المظهر الرسمي والكامل لفكر الشعب الإيراني. هذه مسألة على غاية من الأهمية . الشعب يشعر في جميع المراحل بارتباطه وتلاحمه

مـع النظـام السياسـي للجمهوريـة الإسـلامية بشـكل لا يمكـن انفصاله، ومن هذا يستمد النظام الإسلامي قدرته.

في هـذه الجلسـة التـي يحضـرها غالبًـا المسـؤولون في الوظـائف المختلفـة سـواء في السـلطة التنفيذيـة أو التشـريعية أو القضـائية أو في القطاعات المختلفة والمستويات المختلفة أريد أن أؤكد عليكم أيها الأعـزّة أن العامل الـذي يستطيع أن يشـكل الدعامة الحقيقية لهذه المسؤوليات هو هذا الارتباط بالناس. لو رأيتم أن هذا النظام قوي أمام التهديدات الخارجية فذلك يعود إلى أنه يمتلك من أسباب القوة ما يفوق آلة القوة المادية التي تمتلكها القوى الكبرى وأسلحتها المعقدة وثرواتها الطائلة . إذ مع كل ما تمتلكه أقوى أنظمة العالم فإنها حين تواجه نظام الجمهورية الإسلامية تجد أن هذا النظام قوي، وتقرّ بذلك، لأن هذه الحقيقة من الوضوح بحيث لا يمكن إنكارها.

في هذه القضايا الأخيرة لاحظتم كيف أجلب الأمريكيون والصهاينة بخيلهم ورجلهم، وعبأوا كل إمكاناتهم، واتخذوا قرارًا لأن يعبئوا أوربا أمام دولتنا، ومثل هذه المواقف عادة تدفع الدول إلى التراجع عن مواقفها، لقد اتفق الصهاينة والأمريكيون على أن يستثمروا ألمانيا لتحقيق أهدافهم ويسيّرونها وفق إرادتهم رغم كل ما كان لها من علاقات مع دولتنا. لو كان نظامنا منفصلاً عن الناس لكانت هذه المواقف له قاتلة، لكن انظروا أن المسؤولين كلهم وأفراد الشعب بأجمعهم قد وُضعوا في صورة تفاصيل هذا

الحادث، و وقفوا مثل جبل أشمّ ولم تؤثر عليهم هذه التهديدات إطلاقًا.

أولئك الذين يقفون في الجهة المقابلة يشعرون بالضعف أمام كل هذه المواقف المستحكمة، ويتحيّرون في مواصلة ما بدأوه. يشعرون حقيقة بالعجز أمام شعب ونظام لا أثر فيهما للتهديد و لا لقطع العلاقات ولا لكل ما يلوّحون به من تخويف. أولئك الذين لم يكونوا في خضمّ هذه اللعبة بدأوا يتراجعون، ولعلهم بعد ذلك يعتذرون. وأولئك الذين خاضوا اللعبة مثل الحكومة الألمانية متحيرة كيف تتعامل مع الجمهورية الإسلامية، ولابد أن تشعر بالعجز لأنها أساءت للشعب الإيراني.. كل هذا ببركة عدم وجود انفصال بين نظامنا السياسي والشعب. إنه نظام الولاية وهذا عطاء نظام الولاية.

أنا أوجه خطابي هذا إلى ساحَتين ومخاطبَين الأول: الناس وقد ذكرت هذه المسائل التي قلتها اليوم كررًا للناس . غير أن الخطاب حين يتوجّه إليكم أنتم المسؤولين هو أنكم أيها الأعزّة أينما كنتم عليكم أن تقدّروا هذه العلاقة بينكم وبين الجماهير حقّ قدرها وأن تحافظوا عليها. ثقة الناس وتلاحمهم معكم لا يمكن أن يكون من جانب واحد. لا يمكن أن يبقى هذا الحبّ وهذا الارتباط إذا لم تلتفتوا إلى أفعالكم . حبّ الناس وتلاحمهم مع المسؤولين أمر ذو جانبين. المسؤولون في المستويات المختلفة يجب أن تكون لهم مواقف مماثلة تجاه الناس بالأسلوب المقتضي . لا بدّ من العمل من أجل الناس، والإنصاف يدعونا أن نقول إن الجهاز الحكومي عندنا عامل، وهذا ما لا يستطيع أن ينكره أحد، وهو من بركات شعبية

هـذا النظـام واعتمـاده علـى الجمـاهير. الأعمـال والجهـود المبذولـة كثيرة.

المطلوب من المسؤولين

ومـن المواقـف المطلوبـة مـن المسـؤولين تجـاه النـاس هـو أن يشـعر النـاس أن المسـؤولين في البلد بمختلـف المسـتويات أمنـاء علـى ثـروات البلـد. أطلـب منـكم أن تراقبـوا بجـدٍ هـذه الأمانـة في الأداء تجـاه مـا وضـعه النـاس تحـت تصـرفكم. لا يجـوز أن يشـاهد أي خلـل في التصرف ببيت المال وبالمال العام. لا تدَعَوا العدوّ قادرًا على أن يقول إن إيران تشهد ظهور طبقة ارستقراطية جديدة. العدوّ يردد ذلك، ولو شـوهدت ظـاهرة تؤيـد كـلام العـدوّ بشـكل مـن الأشـكال فهـذه خدمة للعدوّ. العدوّ عدوّ، ومهمّته إلقاء التهم. الأبواق الإعلامية للعدوّ رشقت الجمهورية الإسلامية في هذه السنوات الأخيرة بأنواع التهم. من ذلك حديثهم عن الفساد المالي وأمثاله، قالوا كثيرًا وألقوا ما لا يحصى من الأكاذيب. لكن الناس لو رأوا ما يؤيد كلامهم ولو في موضع واحد أو بضع مواضع فإنهم سيقبلون ما يقال. كونوا حذرين في هذا المجال.

في الحملات الدعائية لانتخاب رئيس الجمهوريـة ــ وهي اختبار عظيـم للشعب الإيراني ـ عليكم أن تحذروا من الإسراف والإنفاق غيـر المتعـارف . لحسـن الحـظ أولئـك الـذين دخلـوا سـاحة هـذه الانتخابـات معروفـون وموضـع ثقـة. نحـن واثقـون مـن صـدقهم

ونـزاهتهم، وليسـوا ممـن يتجـه إلـى الإسـراف. ولكـن قـد يظهـر هنـا وهنـاك مـن يتصـرف بمـا لا يناسـب وبمـا لا يرضـاه أصـحاب القضيـة. الأمـر طبعًـا لـيس محـدودًا بهـذا، بـل في كـل المجـالات وفي جميـع الساحات وعلى مختلف القطاعات، على المسؤولين أن يتصرفوا بما يحـافظ علـى العلاقـة مـع النـاس، وأن يحـافظوا علـى هـذا الارتبـاط ليتحقق معنى الولاية الذي أراده الإسلام. ولو تحقق ذلك فإن أسلحة العدوّ كلها عاطلة أمام النظام الإلهي والقرآني للجمهورية الإسلامية. العدوّ يُتعب نفسه ويبذل دون طائل جهودًا تسبب له الصداع. مهما بذل من جهد لا يستطيع أن يلحق الأذى بنظام شعبي اختار طريقه عن وعي و إرادة، ويطويه بهمّة.

لـو أن الشـعب الإيرانـي حفـظ وحدتـه كمـا حفظهـا حتـى الآن والحمـد لله وصـان وعيـه وارتباطـه المسـتحكم بالمسـؤولين و واصـل المسـؤولون خـدماتهم المتناسـبة مـع النظـام المقـدس للجمهوريـة الإسلامية فسيتوفر إمكان وضع أسس الحضارة الإسلامية في هذا البلد بل في جميع البلدان والمجتمعات الإسلامية.

أسأل لله سبحانه في هذا اليوم الشريف أن ينزل السرور على روح إمامنا الكبير وأرواح الشهداء الذين فتحوا لنا هذا الطريق ومهّدوه، وأن يحشرهم مع أوليائه، وأن يبارك للشعب الإيراني بأجمعه هذا العيد الشريف.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حافظوا على الوجه الأصيل للإسلام

محمد علي التسخيري *

• غبار فترات التاريخ لم يستطع أن يغطي على الوجه الأصيل للدين المبين • نهوض الأمة اليوم ضد مذليها يدلّ على انتهاجها للإسلام المحمدي • الثورات المستمرة تدلّ على تدفّق «الحياة» في شرايين الأمة • سيف بن عمر سخّر نفسه لتحريف التاريخ • إحياء أسطورة عبدالله بن سبأ في إعلامنا اليوم له دلالاته الواضحة • إن أمتنا بحاجة ماسة لأن يكون أمامها فرز واضح بين الإسلام المحمدي والإسلام الأموي.

لا شك أن الدين المبين بوجهه الناصع الفطري الأصيل المحمدي استطاع أن يقدّم للبشرية أعظم مشروع إنساني لصيانة كرامة الإنسان، و إحلال العدل والمساواة والتحرر بين أبناء البشر، وتفجير الطاقات الروحية والفكرية لبني آدم وتوجيه هذه الطاقات لخدمة الإنسان أي إنسان على ظهر الأرض.

*- الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

من هنا كانت الاستجابة لنداء الإسلام مذهلة، وكان انتشاره عن طريق القلوب مدهشة، وقد استطاع بخطابه الإنساني أن يتحدّى الإمبراطورية الرومانية وأن يزيل الإمبراطورية الساسانية ويتجاوز كل العقبات التي وضعها أعداء البشرية أمامه، ويضرب بجرانه خلال فترة قصيرة إلى معظم أرجاء المعمورة.

هذا الوجه الأصيل للإسلام مرّ في تاريخه الطويل بطريق لم يكن يخلو من غبار التحريف بسبب مصالح فردية أو عشائرية أو فئوية، وهذا الغبار رغم غلظته في فترات معينة، لكنه لم يستطع أن يغطّي على الوجه الأصيل للدين المبين، بفضل ما بذله خيار الصحابة والتابعين وأهل بيت رسول الله من جهود، لتخليد هذا الوجه الناصع. وما تشهده الساحة الإسلامية اليوم وفي العقود الثلاثة الأخيرة على الأقل من نهوض إسلامي يدلّ بوضوح أنّ الأمة لا تزال ترى في الإسلام ذلك المنهل العذب الذي يضع عنها إصرها والأغلال التي أراد المستكبرون أن يضعوها على أعناقها، والذي يصون كرامتها وعزّتها، ويحول دون تسلّط الطواغيت على مقدّراتها، ويُحلّ العدل والمساواة والسلام والخير والبركة في ربوعها.

وأمام هذا الوجه الناصع الذي وصلنا عبر غبار الانحرافات تحاول اليوم بعض الدوائر التي لا ينسجم الإسلام المحمدي مع مصالحها أن تثير الغبار، وأن تستلهم ممّا اغبرّ من التاريخ ما يغطي ذلك الوجه الإنساني الجميل.

من أحلك فترات التاريخ الإسلامي وأروعها في الوقت نفسه الفترة التي تحوّلت فيها خلافة المسلمين إلى ملك عضوض صارت فيها أموال المسلمين دولاً وعبادُ الله خَوَلاً، فأهدرت الكرامات، وفرضت حالة الإذلال على الأمة الإسلامية، باسم الدين،وباسم المطالبة بدم عثمان.هذا هو الجانب المظلم الحالك من تلك الفترة، أما الجانب الرائع من تلك الفترة فهو الثورات المستمرّة التي تدلّ على الحياة المتدفقة في شرايين هذه الأمة بفضل الإسلام الذي دعا ﴿لما يحييكم﴾ هذه الثورات هي الصفحات الناصعة التي ورثتها الأمة من تاريخها المجيد، وتستمدّ منها العزم اليوم للانتفاض على واقع الذلّ في حياتها.

ثمة محاولات مدعومة بأموال معروفة المصدر وبتشجيع صهيوني أمريكي لقلب الموازين والقيم، وللدفاع عن الملك العضوض وتبرير كل ما فعله رجاله من تحريف في المسيرة الإسلامية، ابتداء من الحكم الوراثي، إلى التمييز الطبقي والتمييز العنصري، وتقليد القياصرة والأكاسرة في الحكم والثراء الفاحش، و إزهاق الأرواح البريئة، و إشاعة المنكرات في المجتمع. والأسوأ من ذلك إدانة الثائرين والمحافظين على النهج الإسلامي المحمدي و إلصاق ألوان التهم بهم.

«سيف بن عمر» من رموز رواة التاريخ الذين سخّروا وجودهم لمحاولة تحريف التاريخ الإسلامي.

فهو وراء روايات انتشار الإسلام بالسيف، وهو ما كان زادًا للمستشرقين الذين أرادوا أن يضفوا صفة الدموية على الفتوحات الإسلامية.

وهو وراء روايات ارتداد القبائل العربية بعد ارتحال النبي الأكرم(ص)،وهو ما كان أيضًا زادًا لمن أراد أن يصوّر أنّ العرب قد فُرض عليهم الإسلام مرتين، مرة في غزوات النبي وسراياه، ومرّة بعد وفاته بعد إعلان ارتدادهم!!

وهو وراء اختلاق عشرات الصحابة والحوادث والأماكن (انظر: كتابي *عبدالله بن سبأ، وخمسون ومأئة صحابي مختلق* للعلامة السيد مرتضى العسكري).

وأهم من ذلك هو وراء اختلاق شخصيّة «عبدالله بن سبأ» لتبرير انحرافات رجال الملك العضوض، ولإدانة الصحابة الذين وقفوا بوجه تيار الانحراف، ثمّ لنسبة بعض عقائد الشيعة من مثل وصاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى عبدالله بن سبأ، وهو في رواية سيف بن عمر يهودي أسلم على الظاهر ليشقّ صفوف المسلمين!!

إحياء أسطورة عبدالله بن سبأ في الإعلام المرتبط بجهة معروفة في هذه الظروف بالذات له معناه الواضح:

إنه أولاً ــ إدانة الثائرين المقاومين أمام الهيمنة الأمريكية والصهيونية.

ثانيًا ـ إثارة الحزازات الطائفية، وهو أسلوب بدأ بقوّة بعد انتصار

الإسلام في إيران، وانتصار حزب الله في لبنان.

ثالثًا ـ تبرير تصرفات ورثة الملك العضوض في الحكم الوراثي وفي ترف الحكا م وفسادهم في عصرنا.

إنّ أمتنا بحاجة ماسّة إلى أن يكون أمامها فصل واضح بين الإسلام المحمدي والإسلام الأموي.. وهي اليوم إذ تثور ضد مذلّيها ومنتهكي كرامتها قد انتهجت مدرسة الإسلام المحمّدي .. إسلام العدالة والحرية والمساواة والكرامة والعزّة.

لكنها تواجه من يريد إعادتها إلى إسلام يقبل الذلّ والخضوع والرضوخ أمام الطغاة ومنتهكي الكرامات وممتصي دماء الشعوب.

وهذا التوجّه نحو إحياء شخصية عبدالله بن سبأ وروايات سيف بن عمر الذي يجمع علماء الرجال على أنه «وضّاع» ،إنّما هو جزء من محاولات قبول الإذلال بمنطق منحرف ديني!!

إنّ الظروف الراهنة تتطلب إبراز مناقبية الثائرين في تاريخنا، وتتطلب أن نوضّح للجيل الإسلامي الفرز الحاسم بين الإسلام المحمدي والإسلام الأموي.

آراء الشيخ محمد الغزالي
في التاريخ الإسلامي والتعصّب وعوامله النفسية

• عد أئمتنا عمر بن عبدالعزيز الخليفة الخامس بعد الراشدين الأربعة، ثم ماذا؟ ملك عضوض • إن الخلافة أسقطتها قصور مترعة بالإثم!! متخمة بالملذات الحرام • السلفية ليست فرقة تسكن بقاعًا من جزيرة العرب وتحيا على نحو اجتماعي معين • نرى ضرورة إزاحة البَلَه وذوي العقد النفسية من قيادة الفكر الديني • اختيار المسلم لمذهب ما،لا يجوز أن يتحول إلى لجاجة ومغاضبة • إن المسلمين المعاصرين نسوا ضياع التركستان والقرم، ولم ينسوا الخلاف على الجهر بالبسملة أول الفاتحة • أهم أسباب الانحرافات هو انعدام الإخلاص.

الشيخ محمد الغزالي بن أحمد السقا، ولد في محافظة البحيرة بمصر وسمّاه أبوه «محمد الغزالي» تيمنًا بالإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ). أتمّ حفظ القرآن في قريته وهو في العاشرة، وواصل دراسته بالإسكندرية وانتقل إلى القاهرة عام ١٣٥٦هـ/ ١٩١٤م ودرس في كلية أصول الدين بالأزهر الشريف، وبدأ يكتب في مجلة المسلمين وهو في الكلية وتخصص بعدها في الدعوة والإرشاد وتلقى العلم عن الشخ عبدالعظيم الزرقاني، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ

محمد أبو زهرة، ومحمد يوسف موسى وغيرهم من علماء الأزهر. وكان المشجّع له على الكتابة في الصحف الشيخ حسن البنا.

جنح إلى الإصلاح في فترة مبكرة من حياته وانخرط في صفوف جماعة الإخوان المسلمين، وفي سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨ اعتقل فيمن اعتقل من الجماعة وبقي سنة في السجن.

واستمر بعدها يواصل عمله في الدعوة، ثم اضطرّ بسبب ما عاناه من تضييق أن يغادر مصر للعمل في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وظلّ هناك سبع سنوات لم ينقطع فيها عن الدعوة عبر وسائل الإعلام، ثم انتقل إلى الجزائر ليعمل فيها رئيسًا للمجلس العلمي لجامعة الأمير عبدالقادر الإسلامية بقسنطينة، واعتبر أثناء وجوده في الجزائر من المواصلين لجهود زعيمي الإصلاح في الجزائر: عبدالحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي.

وبعد سبعة أعوام قضاها في الجزائر عاد إلى مصر، وواصل عمله العلمي والثقافي حتى لقي ربه سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م في أثناء مشاركته في ندوة «الإسلام والغرب» بالمملكة العربية السعودية، ودفن في البقيع.

فهم التاريخ على النحو الصحيح

الشيخ الغزالي لا ينظر بعين التقديس إلى كلّ من أسموا أنفسهم خلفاء في التاريخ الإسلامي ويرى أن الطغيان السياسي في تاريخنا هو سبب كلّ ما حلّ بأمتنا من دمار يقول:

«قلت لصديق يحدثني عن التاريخ الإسلامي: اسمع يا أخي، إن الأمويين والعباسيين والعثمانيين لم يقدموا لنا صورة صادقة للخلافة الإسلامية، وتتفاوت نسبة الدمامة في الصورة التي قدموها تفاوتًا يسيرًا! **وقد عدّ أئمتنا عمر بن عبدالعزيز الخليفة الخامس بعد الراشدين الأربعة، ثم ماذا؟**

ملكٌ عضوضٌ يعمل لنفسه ولله معًا، وعمله لله هو الغطاء الذي يداري به نهمته إلى الجاه والمال ، وقد وُجد من كان عمله لله أرجح، ثم بدأ هذا الصنف يقلّ حتى انفرد بالسلطان من لا يعمل إلا لنفسه وحسب..

هل تنجح دعوة للإسلام سنادها الداخلي هذا المجون؟ هل يبقى الدين نفسه مع تلك الأوضاع المقلوبة والحقوق المغصوبة؟

اسمع يا أخي أنا لا أعتبر التتار هم مسقطي الخلافة في بغداد، **إن الخلافة أسقطتها من قبلُ قصور مترعة بالإثم..!! متخمة بالملذات الحرام..!**

أنا لا أعدّ الصليبيين هم مسقطي دولتنا في الأندلس، إن المترفين الناعمين هم الذين أنزلوا راية الإسلام عن هذه الربوع الخضرة، إن ملوك الطوائف في الأندلس لم يكونوا أبناء شرعيين لطارق بن زياد، ولا لغيره من الأبطال الذين باعوا لله أنفسهم فأورثهم الأرضين.

إننا قبل غيرنا العقبة الأولى أمام دين عظيم. إنّ التحدّي الأول يجيء من داخل أرضنا ثم تجيء من بعده تحديات الأعداء التقليديين»[1].

---

١ - *دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين*، ص ١٠ ـ ١١.

وهـذه نظـرة لهـا مردودهـا علـى واقعنـا الـراهن قبـل أن تكـون حكمًا على التاريخ، وهي مسألة ـ إن اتفق عليها المسلمون ـ تستطيع أن تقضي على كثير من الخلافات الناشئة عن النظرة التقديسية للخلافة.

السلفية الواعية

لقد مرّ التاريخُ الإسلامي بمعارك كلاميّة «كنّا والله في غنى عنها، اختلقها الترف العقلي ونمّاها، وشُغلت بها الجماهير عن خير الدنيا والآخرة ، وبقيت في كتب العقائد ذكريات مؤسفة.

وها قد سلخ من عمره المديد أربعة عشر قرنًا وعانت أمته أيامًا عصيبة لانطلاقها بغير قواها و إلى غير وجهتها».

وليس القلق «من كثرة المذاهب الفكرية في شؤون الأدب والحياة.. و إنما نكره التفرّق في المعتقد، والتحزب في أصول الديانة، ونؤثر دراسة العقائد من منهجها القرآني ونبعها النقي كما تدفّق به الوحي الأعلى، ونهض عليه سلفنا الصالحون».

وهذه هي السلفية الواعية التي تجمع ولا تفرّق ، غير أن أقوامًا نظروا إلى السلفية من منظارهم الضيّق، فجعلوا منها بداوة وتخلفًا وجمودًا. يقول الغزالي:

«والسلفية ليست فرقة تسكن بقاعًا من جزيرة العرب وتحيا على نحو اجتماعي معيّن.

إننا نرفض هذا الفهم ونأبى الانتماء إليه.

إن السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون، وتعمق ولاءها لكتاب الله وسنَّة رسوله، وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية لإعلاء كلمة الله دون نظر إلى عرق أو لون.

وفهمها للإسلام وعملها له يرتفعان إلى مستوى عمومه وخلوده وتجاوبه مع الفطرة وقيامه على العقل.

وقد رأيت أناسًا يفهمون السلفية على أنها فقه أحمد بن حنبل رضى الله عنه، وهذا خطأ.. ففقه أحمد أحد الخطوط الفكرية في الثقافة الإسلامية التي تسع أئمة الأمصار وغيرهم مهما كثروا.

ورأيت ناسًا يفهمون السلفية على أنها مدرسة النص، وهذا خطأ فإن مدرسة الرأي كمدرسة الأثر في أخذها من الإسلام واعتمادها عليه.

وقد كان من هؤلاء من تسمّوا أخيرًا بأهل الحديث، وسيطرت عليهم أفكار قاصرة في فهم الأخبار المروية، وأحدثوا في الحرم فتنة منكورة.

والحديث النبوي ليس حكرًا على طائفة بعينها من المسلمين، بل إنه مصدر رئيسي للفقه المذهبي كله.

ورأيت ناسًا تغلب عليهم البداوة، يكرهون المكتشفات العلمية الحديثة ولا يحسنون الانتفاع بها في دعم الرسالة الإسلامية وحماية تعاليمها، ويرفضون الحديث في التليفزيون مثلاً لأن ظهور الصورة على الشاشة حرام، ويتناولون المقررات الفلكية والجغرافية وغيرها

بالهزء والإنكار، وهؤلاء في الحقيقة لا سلف ولا خلف، وأدمغتهم تحتاج إلى تشكيل جديد.

ورأيت ناسًا يتبعون الأعنت الأعنت، والأغلظ الأغلظ، من كل رأي قيل، فما يفتون الناس إلا بما يشق عليهم وينغّص معايشهم، ويؤخر مسيرة المؤمنين في الدنيا، ويأوي بهم إلى كهوفها المظلمة. وهؤلاء أيضًا لا سلف ولا خلف. إنهم أناس في انتسابهم إلى علوم الدين نظر، وأغلبهم معتل الضمير والتفكير.

ورأيت ناسًا يتبعون إلغاء الرقيق بعيون كئيبة! قلت لهم: ألا تعرفون أن هؤلاء العبيد هم أحرار أولاد أحرار اختطفتهم عصابات النخاسة من أقطارهم، وباعتهم كفرانًا وعدوانًا ليكونوا لكم خدمًا، وهم في الحقيقة سادة؟!

ما السلفية التي تقر هذا البلاء؟ وما هؤلاء العلماء الذين ضاقوا بسياسة الملك فيصل في تحريرهم ، و إلغاء بيعهم وشرائهم؟ إن الرجل الشهيد أولى بالله منهم.

ورأيت ناسًا يقولون: إن آية: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذي يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾ (البقرة/١٩٠) مرحلية.

فإذا أمكنتنا اليد! لم نبق على أحد من الكافرين.

قلت: ما هذه سلفية. هذا فكر قطاع طرق لا أصحاب دعوة شريفة حصيفة، وأولئك لا يؤمَنون على تدريس الإسلام لجماعة من التلامذة بله أن يقدَّموا في المحافل الدولية والمجامع الدولية.

إن العالم الإسلامي الآن متخلّف حضاريًا، ومضطرب أخلاقيًا واجتماعيًا وسياسيًا، وبينه وبين الأمم القائدة الصاعدة أمد بعيد.

هذه الأمم تعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا، وتفتقر إلى جيل من البشر يذكرها بالله ولقائه.

والإسلام وحده هو المالك لهذه الحقائق الهادية. ولكي تؤدي أمته رسالتها يجب عليها أمران:

الأول: أن تطوى مسافة التخلف الحضاري، والاضطراب الإنساني الذي يشينها ولا يزينها.

والثاني: أن تتقدم بشرف وكياسة لتقول للناس كلهم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء/ ١٧٤).

ولكي ننجح في عملنا يجب أن نقتفي آثار سلفنا.

والسلفية هنا عنوان كبير لحقيقة كبيرة أساسها العقل الحر المكتشف الدؤوب.

إن هذا العقل عندما رغب عن البحث في الذات العليا وحقيقة الصفات، كان يحترم نفسه عندما توقف. والعلم المعاصر نجح أيما نجاح عندما بحث في المادة التي بين يديه ولم يبحث في ربها - سبحانه - فأنى له البحث فيما لا يملك ولا يقدر؟!

من أجل ذلك نرفض النظريات الكلامية، ونقبل المذاهب الفقهية، ونضع الشبكة القانونية التي يتطلبها انتقال الحياة من طور إلى طور.

من أجل ذلك نهشّ للتقدم العلمي ونطوّعه لنصرة مبادئنا ومُثُلنا.

ومن أجل ذلك نرى ضرورة إزاحة البله وذوي العقد النفسية من قيادة الفكر الديني، فإنهم غشاوات على البصائر، وحجب على الضمائر.

إننا محتاجون إلى فقهاء يستطيعون النظر في سياسة المال والحكم، ويرفضون أن يسبقهم الإلحاد إلى اجتذاب الشعوب الفقيرة في هذه الميادين الخطيرة. ومحتاجون إلى فقهاء يهيمنون على شؤون التربية والإعلام برحابة الإسلام وبشاشته لا بالتزمت والتكلف.

إن الفقه الإسلامي كما قدمه سلفنا حضارة معجزة، أما الفقه الإسلامي كما يقدمه البعض الآن فهو يميت ولا يحيى»[1].

انشغال عن عظائم الأمور

الانشغال بالجزئيات والاستغراق فيها ينسي الفرد والجماعة مهامها الكبرى، وهو خطر ما بعده خطر، وهذه الظاهرة بارزة بين المتدينين في عالمنا الإسلامي مع الأسف. يقول الشيخ الغزالي: «ولم أر أناسًا حبستهم الجزئيات وغلبتهم على رشدهم مثل صرعى التعصّب المذهبي عندنا.

وأظنّ السبب في ذلك أسلوب تعليم العوام. إن المدرّس يقول في

---

١ - *دستور الوحدة الإسلامية*، ٩٢ - ٩٣.

ثقة: حكم الله كذا في هذه القضية، رأي الدين كذا في ذلك الموضوع.. فيظنّ المستمع أن ما سمع هو حكم الله ورسوله.

وما ينبغي أن يُذكر حكم بهذا الجزم إلا ما قُطع به، أما الاجتهادات المذهبية فينبغي أن يقول المفتي: أرى الحكم كذا، أو الحكم عندنا كذا، أو صحّ الدليل لدينا بكذا، ويترك مجالاً للرأي الآخر فلا يحرمه من الانتماء إلى الإسلام.

وعلى الأتباع أن يستبينوا قيمة ما يؤدون وما يدعون، فلا يظنوا الإسلام حكرًا على مسالكهم وحدها. واختيار المسلم لمذهب ما، لا يجوز أن يتحول إلى لجاجة ومغاضبة، فإن ذلك يُفسد النية ويمزق الأمة ويوهى الصلة بالله سبحانه وتعالى.

والموضوع كله لا مكان فيه لمكابرة واستطالة، إنه أهون من ذلك كثيرًا.

سألني صيدلي عن حكم من أدرك الإمام راكعًا ولم يقرأ الفاتحة، أتسقط الركعة عنه أم يعيدها؟

قلت: الجمهور على سقوط الركعة عنه، وهناك من يرى قضاءها، فاختر لنفسك ما يحلو.

قال: أعرف ذلك ولكن أريد مناقشة من يرى عدم قضاء الركعة..!

قلت له: ما جدوى ذلك عليك؟ ولماذا تتكلف ما لا تحسن وتترك ما تحسن..؟ قال: ما معنى ما تقول؟

قلت: أنت صيدلي، وجميع الأدوية في دكانك من صنع الصهيونيين أو الصليبيين أو الشيوعيين، فإذا تركت أنت وزملاؤك هذا الميدان، ميدان صناعة الدواء، واشتغلت باللغو، أفتحسب ذلك يرفعك عند الله وعند الناس؟ إنك للأسف تسهم في سقوط الأمة وتجعلها غير جديرة بالحياة.

قال: إنني أبحث في حكم شرعي ولا أشتغل باللغو.

قلت: الحكم الشرعي كما قرره أهل الذكر بين أمرين، خذ منهما ماشئت، ولا يجوز أن تحوّل الموضوع إلى لبان يمضغه الفارغون. إن كل ما يصرفك عن ميدان الدواء هو في حقيقته عبث أو عيب أو ذنب تؤاخذ به.

أما أن تؤلف رابطة عنوانها «جماعة من يقضون الركعة إذا لم تقرأ الفاتحة» فهذا سخف. ما قيمة هذا الرأي أو ذاك حتى يحشّى به عقول الناس؟

إن المسلمين المعاصرين نسوا ضياع التركستان والقرم، ولم ينسوا الخلاف على الجهر بالبسملة أول الفاتحة.

لحساب من تستثار المشاعر المشبوبة وراء رأي فقهي؟ إن كان خطأ أو صوابًا، فهو مأجور. وماذا يبقى من مشاعر الناس بإزاء العقائد الأولى، والوحدة الجامعة، والتماسك في وجه أعداء لا ينامون حتى يقضوا علينا..؟

إن التعصب لرأى أحد الفقهاء غباء، اعمل به إن شئت، ولا تستحمق إذا رأيت غيرك يعمل بضده.

و إذا وجد مجال لبحث وجوه النظر وقيم الأدلة ـ لمن يقدرون على ذلك ـ فلا حرج! ثم يصير كل إلى ما يرى. إنني استيقنت من أن التعصب الشديد لمسألة ثانوية يتم على على حساب الدماء والأموال والأعراض وكرامة الأمة وحياتها.

وأذكر صحفيًا ممن شهدوا القبض على الجماعة التي احتلت الحرم المكي هذه السنة[1]، قال لي: عندما أخذنا صورًا لهم رأيت بعضهم يتململ، فقلت له: مالك؟ قال لا تصورونا فالتصوير حرام!

قلت له: ترى أن التصوير حرام، وقتل الأبرياء في المسجد وامتهان قداسته مباحان!!

هذه هي عقلية المتشبثين ببعض الأفكار والفتاوى، وذلك مبلغهم من العلم، **يعمون عن العظائم ولا يرون إلا ما يضخمون من وجهات نظر، قد يكون خطؤها أجلى من صوابها.**

ذلك وقد ظهر نوع آخر من التعصب! جماعة يتسمون أهل الحديث، يفهم أحدهم في الخبر المروي فهمًا معينًا، فإذا خالفته في فهمه اتهمك بأنك تخالف السنَّة، أو تخاصم الرسول(ص)، وهذا بلاء جديد شديد»[2].

آفة المتعصبين

يظهر أن الشيخ الغزالي عانى كثيرًا من التعصّب، وواجهه بكل

---

١ - ويقصد سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢ - *دستور الوحدة الثقافية*، ص ٧٧ ـ ٧٩ .

شجاعة، واكتوى بناره، وراح يفكّر مليًا في حالة المتعصبين، فخرج بما يلي، يقول:

«لقيت متعصبين كثيرين، ودرست عن كثب أحوالهم النفسية والفكرية، فوجدت آفتين تفتكان بهم:

الأولى: العجز العلمي، أو قلة المعرفة! هؤلاء يحفظون نصًا وينسون آخر، أو يفهمون دلالة للكلام هنا، ويجهلون أخرى، وهم يحسبون ما أدركوه الدين كلّه.

ولو أن هؤلاء اكتفوا بمنزلة المتعلم التابع ما عابهم ذلك كثيرًا، فليس كل مسلم مطالبًا بمعرفة جميع الأقوال الواردة والدلالات المحتملة.

المصيبة أن يشتغلوا مفتين أو موجهين، وهم بهذا المستوى الهابط!...

والآفة الثانية في التعصب المذهبي: سوء النية، ووجود أمراض نفسية دفينة وراء السلوك الإنساني المعوج، ويغلب أن تكون آفات الظهور والاستعلاء أو رذائل القسوة والتسلط. كنت في مجلس قرآن ختم القارئ فيه التلاوة بقوله: صدق الله العظيم. فإذا جالس ينتفض كأنما لسعته عقرب يقول: هذه بدعة.. قلت له: لا أبحث معك أنها بدعة أو سنّة، وإنّما أسالك: ما هذا الفزع؟ لكأنما سقط على رأسك حجر!! الأمر ما يعالج بهذه العاصفة . إجلس.

هذا الصنف من الناس لم يهذّب نفسه بالأخلاق التي بُعث بها

صاحب الرسالة ليتمّم مكارمها.. إن صور العبادة عنده غطاء لقلب غليظ، وغرائز فجّة.

وهو يجد متعة في قضايا الخلاف ليثور ويفور، وظاهر الأمر الغضب للدين، وهو في الحقيقة ينفّس عن طبيعة معتلّة، وتربية ناقصة أو مفقودة»[1].

مرضى القلوب

حين تحدّث الغزالي عن آفة المتعصبين لخصها في آفة العجز العلمي وآفة سوء النية، الأولى: علمية، والثانية: نفسية. والواقع أن الرجل يهتم بالعامل النفسي أكثر، وهذه هي النقطة البارزة في مشروع الشيخ. يخصص فصلاً للانحرافات النفسية والبدنية، ويرى أن الانحرافات النفسية أخطر من البدنية، فالمعاصي البدنية «شهوات محددة الخطر ـ على قبحها وسوء مغبتها ـ فالإسراف في الطعام مثلاً، يسلب المرء عفّته. وربّما كان للبدن تطلّعات أشدّ ضراوة، ومع ذلك فهو أدنى من جنون العظمة أو عبادة الذات التي تقود إلى الفرعنة وقسوة القلب و إهلاك الحرث والنسل في سبيل المجد الشخصي!!».

«والاغترار بالنفس أو الدوران حول الذات لا يبدو في طلب الرياسة بالأساليب القذرة وحسب، كلاّ إنه قد يبدو في تنقّص رجل

---

١ - *دستور الوحدة الثقافية*، ص ٧٤ ـ ٧٥.

معروف أو اعتناق رأي شاذ، أو المكابرة في حوار، أو ما شابه ذلك من مواقف لأناس يعملون في الميدان الديني أو الميدان المدني على سواء...».

«وفي ميدان التدين تعتبر الطاعات التي يقوم بها هؤلاء ستارًا لنيات مغشوشة أو ترجمة معكوسة لما يكمن في عقولهم الباطنة..».

«وهؤلاء المرضى بالشذوذ والحقد يكثرون من التلاوة وصور العبادة، وينتهزون الفرص التي تتنفس فيها طباعهم فيضربون ضربتهم، وقد كانوا كثرًا في جيش علي بن أبي طالب، ولكنهم شغلوا عليًا عن هدفه حتى انهزم، وكانت صيحتهم: لا حكم إلا لله! وكان تعليق علي: «كلمة حق أريد بها باطل»!! إنّ المتدينين من هذا الصنف الغاش بلاء على الدين وعقبة أمام امتداده».

ويظهر أن الشيخ الغزالي مثله مثل كل الدعاة المخلصين قد عانى من مرضى النفوس كثيرًا، ولذلك فإنه يحاول أن يبحث عن جذور هذا المرض. يقول: «لقد عناني من أمر العلل النفسية أو معاصي القلوب لأني اكتويت بنارها، ورأيت من أدعياء التدين ما يدعو للجزع».

ويخاطب هؤلاء الأدعياء المتزمتين الذين يكيلون التهم للآخرين، ويدورون مع ذواتهم أينما دارت بلغة غاضبة فيقول: **«ونحن نعرف أن آباءكم قتلوا عليًا باسم الدفاع عن الوحدة الإسلامية، وقتلوا عثمان**

باسم الدفاع عن النزاهة الإسلامية، وقتلوا عمر باسم الدفاع عن العدالة الإسلامية، فيا أولاد الأفاعي إلى متى تتسترون بالإسلام لضرب الرجال الذين يعيشون له ويجاهدون لنصرته؟! ولحساب مَن تكنّون هذه الضغائن عليهم، وتسعون جاهدين للإيقاع بهم وتحريش السلطات عليهم..؟!».

ويقول أيضًا في لغة حادّة: «وهؤلاء المرضى المعتوهون يفهمون في المرويات فهمًا ما، ثم يقولون: هذا هو النص! ما نراه نحن هو رأي الله ورسوله، أي حكم الله ورسوله!

ومعنى ذلك أنك حين تقاومهم تقاوم الإسلام نفسه وتحارب الله ورسوله. وهذا هو البلاء المبين.

ونقول جادين: إن الإسلام لن يحكم ولا يجوز أن يحكم إذا كان أولئك العميان قادة قافلته والمتحدثين باسمه، فإن أمراضكم النفسية والفكرية تمحق دين الله ودنيا الناس على سواء..

الإسلام نور وهؤلاء ظلمة، إنه طهر وهؤلاء قذى !!».

موقف الشيخ الغزالي من هؤلاء المرضى ليس ردّ فعل لما وجهوه إليه من إساءات ، بل إنه يأتي في إطار حديثه عن «الوحدة الثقافية بين المسلمين» لأنّ «كثيرًا من الخصومات الفكرية القديمة في علم الكلام كان مظهرًا للعلل النفسية أكثر مما هو لخدمة الإسلام..».

أهمّ ما يجول حوله فكر الشيخ الغزالي بشأن سبب الانحرافات

النفسية هو «انعدام الإخلاص». فالإخلاص «روح الدين وآية الصدق، وسياج العمل، وضمان قبوله في الدنيا والآخرة.. وهو عنصر نادر بين الناس، لأننا نقصد بالإخلاص تجريد القصد لله وحده، وابتغاء وجهه الكريم.. وأغلب الناس يدورن حول أنفسهم فيما يعملون أو يتركون، وينشدون مصالحهم الخاصة، أو منافعهم العاجلة».

لكن الشيخ حينما يقرأ عبارة تعنى بسبب الانحرافات النفسية يلتقطها، ويرتاح إليها، وينقلها في كتابه، مثل ما نقل عن مصطفى أمين قوله عن عامل الخوف وتأثيره في سلوك الأفراد إذ يقول: «عرفت جبناء يخافون من أشباحهم ويرتعدون رعبًا إذا رأوا فأرًا يجلس على كرسي، وتسيب مفاصلهم أمام غضب عمدة أو تهديد مأمور!

وعرفت شجعانًا تطول قامتهم أمام العواصف. يثبتون في مواجهة الأعاصير. يذهبون إلى الموت وكأنهم يذهبون إلى حفلة شاي!

وكنت ألاحظ دائما أن الجبان لا يؤمن إلا بنفسه. إلهه في داخله. يتعبد له ويصلّي له ولا يشرك به أبدًا. ولهذا فهو خائف على رزقه، وخائف على وظيفته، وخائف على حياته، خائف من كل شيء، لا يطمئن إلى شيء ولا يثق بشيء. ولهذا فهو يرى الجبن هو المخبأ الذي يتحصن فيه من أخطار الحياة!

ولم أر في حياتي جبانًا وصل إلى المقدمة. لابد أن يتعلق بذيل صاحب سلطة، أو صاحب جاه. وهو ليست لديه الشجاعة أن يتقدم

خطوة، فهو إذا قدّم ساقًا آخّر ساقًا، ولهذا يبقى في مكانه طويلا، و إذا دفعته الأيام إلى الأمام عاش صغيرًا في المكان الكبير، ويتصرف كما يتصرف الصغار. يدس ولا يواجه. يضرب من الخلف ولا يقاتل من أمام. يهمس ولا يرفع صوتًا. لأنه أجبن من أن يعلن رأيه. وهو في أغلب الأحيان لا رأي له، فهو يقبل على الشمس إذا أشرقت ويدير لها ظهره إذا غربت.

وخوفه يجعله يتضاءل . ويرى خصومه يكبرون ويتعاظمون. ولو كان شجاعًا لرأى الناس بأحجامهم الحقيقية. وهو له قامة تساوى قامة الناس، ولكن في داخله دودة الجبن التي تجعله يحس أنه دودة صغيرة، ولهذا يتضاءل ويصغر وينكمش.

والشجاع لا يخاف إلا الله. إذا حارب حارب في النور، و إذا آمن برأي أعلنه ولم يكتمه، و إذا اعتنق عقيدة قاتل من أجلها. والذين في قلوبهم الإيمان يشعرون بقوة هائلة، تقتحم الأهوال وتواجه الأعاصير وتحتمل المحن والخطوب. والإيمان يصنع من القزم عملاقًا، والجُبن يحوّل العملاق إلى قزم صغير! الإيمان يمنح الإنسان جيشًا يحارب معه, والجبن يجرد الإنسان من كل سلاح، فيستسلم قبل أن يدخل المعركة، ويرفع الراية البيضاء عندما تطلق الرصاصة الأولى»[1].

عبدالله بن سبأ

---

١ - *دستور الوحدة الثقافية*، ص ١٤١ ـ ١٤٩.

أحمد حفني داود *

• نهج أنصاف العلماء هو سبب إحداث الفجوة بين الفرق الإسلامية
• أحمد أمين من الذين حجبوا عن أنفسهم نور المعرفة • مرتضى العسكري أثبت أن شخصية عبدالله بن سبأ شخصية خرافية
• استطاع العلامة العسكري أن يحمل الباحثين على إعادة النظر فيما جاء به الطبري.

مضى ثلاثة عشر قرنًا من حياة التاريخ الإسلامي كان «أنصاف العلماء» خلالها يُصدرون أحكامهم على الشيعة مشبوبة بعواطفهم وأهوائهم. وكان هذا النهج السقيم سببًا في إحداث هذه الفَجوة الواسعة بين الفرق الإسلامية ومن ثم خسر العلم الشيء الكثير من معارف أعلام هذه الفرق، كما خسر الكثير من فرائد آرائهم وثمار قرائحهم.

وكانت خسارة العلم أعظم فيما يمسّ الشيعة والتشيّع بسبب ما رماهم به مبغضوهم من نحل وترهات وخرافات هم في الحقيقة براء منها. **ولو أن هؤلاء «الأنصاف» ترفعوا بأنفسهم عن التعصُّب وطبّقوا ـ وهم يكتبون عنهم أو يأخذون منهم ـ مناهج البحث العلمي الصحيح، وآثروا حكم العقل على حكم القلب، وقدّموا الرأي على**

*- أستاذ جامعي مصري.

الهوى؛ لجاءنا علم كثير عن الشيعة، ولانتفعنا بالكثير من تُراث هذا المذهب.

إنّ الباحث المنصف للحقائق العلمية يأخذ عن مذهب الشيعة بقدر ما يأخذ عن غيرها من المذاهب الإسلامية الأخرى. وهو مضطر ـ إن كان منصفًا ـ إلى دراسة فقه الشيعة حين يدرس المذاهب الفقهية الأربعة عند أهل السنة. ناهيك أن الإمام جعفر الصادق المتوفّى سنة ١٤٨ هـ ـ وهو رافع لواء الفقه الشيعي ـ كان أستاذًا للإمامين السنيّين: أبي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفّى سنة ١٥٠هـ، وأبي عبدالله مالك بن أنس المتوفّى سنة ١٧٩هـ، وفي ذلك يقول أبو حنيفة مقرًّا له بالأستاذية وفضل السبق:«لولا السنتان لهلك النعمان» يقصد بهما السنتين اللّتين اغترف فيهما من علم جعفر بن محمد. ويقول مالك بن أنس:«ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد».

ولقد كانت الطّامة أعظم حين خرج على الناس بعض المحدثين الذين ينتحلون لأنفسهم سِمَة العلم ويأتزرون بإزار المعرفة، وليتهم تواضعوا وتنزّهوا عن رفع أنفسهم فوق قدرها لـمّا أعلنوا الثورة على الفرق الإسلامية وأفردوا الشيعة بأعظم جانب منها. فأفسدوا ـ فيما كتبوا ـ مناهج البحث العلمي، وأوصدوا دونهم أبواب العلم.

وكان ـ للأسف الشديد ـ أستاذنا أحمد أمين واحدًا من هؤلاء النفر الذين حجبوا عن أنفسهم نور المعرفة في ركن عظيم من أركان الحضارة الإسلامية والتُراث الإسلامي. فكان هذا المسلك

هنة سجّلها التاريخ الإسلامي عليه كما سجَّلها على غيره ممن حذا حذوه من أساتذة الجامعات الذين آثروا التعصّب الأعمى على حرية الرأي وجمدوا بآرائهم عند مذهب بعينه. وليس ذلك بالطريق السويّ الذي يسلكه المحققون من الباحثين.

ولعلّ أعظم هذه الأخطاء التاريخية التي أفلتت من زمام هؤلاء الباحثين وغمَّ عليهم أمرها فلم يفقهوها ويفطنوا إليها، هذه المفتريات التي افتروها على علماء الشيعة حين لفّقوا عليهم قصة «**عبدالله بن سبأ**» فيما لفّقوه من قصص أشرت إلى بعضها في مؤلفاتي[1]، وزعموا أنّ كلَّ خرافة أو أسطورة أو أكذوبة جاءت من فجر التاريخ الإسلامي؛ كانت من نسج خيال علماء الشيعة واعتبروها مغمزًا يغمزون به عليهم.

وها هو البحّاثة الجليل «مرتضى العسكري» يسجّل لنا في كتابه *عبدالله بن سبأ* أنّ هذه الشخصيّة لم تخرج عن كونها شخصيّة خرافية وأنَّ ما أورده المؤرخون عنه من حكايات في ترويج التشيع لم يكن أكثر من أكذوبة سجّلها الرواة حول هذه الشخصية الوهمية ليحملوا على الشيعة ما شاء لهم أن يحملوا وليغمزوا عليهم ما شاء لهم أن يغمزوا.

لقد جمع هذا البحَّاثة المقارن تحقيقاته العلمية وأبحاثه الشيّقة من متفرقات الكتب ومنشورات الآثار وبطون المصادر، وصال وجال في

---

١. انظر مقدمة كتاب «مع أحمد أمين» للدكتور حامد حفني داود.

كل ميدان من ميادين التاريخ الإسلامي حتى وصل إلى هذه الحقيقة ناصعة جلية، وقد حاول الأستاذ المحقق في كلّ مبحث من مباحثه التي جاء بها في هذا الكتاب أن يقيم الحجة الدامغة على أعداء الشيعة وخصومهم حين استشهد على آرائه العلمية بنصوص ثابتة من أقوال الخصوم أنفسهم، فأقام الحجَّة عليهم من أقرب طريق.

والمتطلّع في هذا الكتاب يستطيع أن يقف في سهولة ويسر على التحقيقات العلمية التي أجراها المؤلف في أحاديث «سيف بن عُمَر» التي كانت تشغل أدمغة المؤرّخين منذ ظهر التاريخ الإسلامي المدوَّن إلى وقت قريب منّا، قيَّض الله للتاريخ فيه جهابذة محققين لا يخشون في الله وفي الحق لومة لائم. كان الأستاذ المؤلف في الطليعة منهم، حين استطاع أن يحمل الباحثين على إعادة النظر فيما جاء به أبو جعفر الطبري في كتابه *تاريخ الأمم والملوك*. وأن يحملهم على النقد التاريخي لكلّ ما جاء في هذا الكتاب وغيره من أمّهات كتب التاريخ بعد أن كان هؤلاء ينظرون إلى الأحداث التاريخية نظرتهم إلى المقدسات الّتي لا تقبل التغيير والتبديل.

وقد استطاع المؤلّف بفضل القرائن التاريخية أن يكشف اللِثام عن كثير من الأحداث التاريخية، وأن يوضح للباحثين الحقائق من أقرب طريق، وإن كان المؤلف قد جاء ببعض هذه الحقائق في صورة مذهلة مدهشة لمخالفتها ما اعتاده الناس وتوارثوه في

معتقداتهم. ولكن الحق أحق أن يتبع. ولكي تقف بنفسك على صدق هذا القول فما عليك إلاّ أن تقرأ هذه الأحداث التاريخية التي أوردها المؤلف في كتابه واختلفت فيها الروايات مثل «بعث أسامة» و«وفاة الرسول عليه السلام» و«حديث السقيفة»...وغيرها. استطاع المؤلف أن يصل إليها بفضل إفادته من مقارنة النصوص ومعرفة سقمها من صحيحها في هذه الأبحاث الثلاثة. وقس على ذلك ما جاء في سائر أبحاثه خلال هذا السفر الجليل، الذي سيغيّر الكثير من وجه التاريخ الإسلامي.

إنني أسأل المسلمين قائلاً: لماذا تنازعون إسرائيل على نهر الأردن؟ إن فلسطين كلها مغتصبة، فاعملوا على إخراج الصهاينة منها أيها المتشاغلون بأنفسكم، كيف تتركون فلسطين محتلة وتذهبون للنزاع حول مياه النهر؟، إنكم عندما تختلفون معها على ذلك فإنكم اعترفتم بوجودها كحاكمة على فلسطين بل كدولة لها الحق في فلسطين.

من نداء الإمام الخميني (رض) سنة ١٩٦٤م
تعليقًا على مشروع تحويل نهر الأردن

الأمويون وأسلوبهم في الحكم[1]

• أسرة أبي سفيان هم من الطلقاء• نيكلسون: اعتبر المسلمون انتصار بني أمية انتصارًا للارستقراطية الوثنية التي ناصبت الرسول وأصحابه العداء •معاوية بن يزيد كان قويًا في إرادته فرفض تولي الحكم وفضح البيت الأموي • اشتهر عمر بن عبدالعزيز بالصلاح والتقوى فمنع سب علي على المنابر • أثار معاوية العصبيات القبلية لإلهاء المسلمين عن التفكير في اغتصابه للسيادة • أشاع الأمويون التحلل الخلقي في الحجاز بشكل خاص لإشغال أبناء المهاجرين والأنصار عن المطالبة بالخلافة.

الخلفاء الأمويون

تأسست الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان، وحكمت المسلمين زهاء تسعين عامًا (٤١ - ١٣٢هـ)، قاد أبوه (أبو سفيان بن حرب بن أمية) قريشًا في حربها ضد النبي، وأمه هند بنت عتبة بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب عقب غزوة أحد، وأخذت مضغة من كبده فلاكتها حتى إذا عجزت عن أكلها لفظتها.

١- أنظر: أحمد أمين، *فجر الإسلام*; شكري فيصل، *المجتمعات الإسلامية في القرن الهجري الأول*; جبرائيل جبور، *الحياة العربية في المائة سنة الأولى بعد وفاة النبي العربي*; علي مظهر، *العصبية عندالعرب*; نوري جعفر، *الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام*; محمد كرد علي، *الإسلام والحضارة العربية*; محمد مهدي شمس الدين، *ثورة الحسين*.

وحين دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة يوم الفتح وقف على باب الكعبة وقال: لا اله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم . قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. فأعتقهم رسول الله، فلذلك سمّى أهل مكة الطلقاء، ومنهم أسرة أبي سفيان.

وهذه الأسرة ظهر لها شأن في زمن الخلفاء الراشدين . فقد تولى يزيد بن أبي سفيان (أخو معاوية) دمشق في عهد الخليفة الثاني عمر، وتولى معاوية بقية البلاد الشامية. وفي عهد الخليفة عثمان ولي معاويةُ الشامَ كلّها، ثم استقل بهذه البلاد بعد مقتل عثمان . ولما بويع عليّ بالمدينة امتنع معاوية من المبايعة له.

يقول ابن أبي الحديد: «وكان معاوية على أسّ الدهر (قِدمَ الدهر) مبغضًا لعليّ (عليه السلام)، شديد الانحراف عنه، وكيف لا يبغضه، وقد قتل أخاه حنظلة يوم بدر، وخاله الوليد بن عتبة .. وقتل من بني عمّه عبد شمس نفرًا كثيرًا من أعيانهم وأماثلهم..»[1].

ويرى الإمام علي أنّ موقف معاوية منه مظهر من مظاهر حِقد قريش على الإسلام ويقول: «كلّ حِقد حَقَدَته قريش على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أظهرته فيَّ، وستُظهره في وُلدي من بعدي، مالي ولقريش ، إنما وَتَرتُهُم بأمر الله وأمر رسولِهِ، أفهذا جزاءُ من أطاع اللهَ ورسولَه إن كانوا مسلمين».

١- شرح *نهج البلاغة* ٣٣٨/١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، بيروت ١٣٨٥هـ.

ثم تطورت الأحداث بعد استشهاد أمير المؤمنين علي حتى انتهت إلى أن تنتقل الخلافة إلى البيت الأموي، فعزّ ذلك على المسلمين .

يقول نيكلسون: «اعتبر المسلمون انتصار بني أمية وعلى رأسهم معاوية انتصارًا للارستقراطية الوثنية التي ناصبت الرسول وأصحابَه العداء، والتي جاهدها المسلمون حتى قضى عليها، وصبر معه المسلمون على جهادها ومقاومتها حتى نصرهم الله، فقضوا عليها وأقاموا على أنقاضها دعائم الإسلام، ذلك الدين السمح الذي جعل الناس سواسية في السراء والضراء، وأزال سيادة رهط كانوا يحتقرون الفقراء ويستذلون الضعفاء ويبتزون الأموال. لذلك لاندهش إذا كره المسلمون بني أمية وغطرستهم وكبرياءهم و إثارتهم الأحقاد القديمة، ونزعهم للروح الجاهلية، ولا سيما أن جمهور المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجالاً كثيرين لم يعتنقوا الإسلام إلا سعيًا وراء مصالحهم الشخصية، ولا غرو فقد كان معاوية يرمي إلى جعل الخلافة ملكًا كسرويًا، وليس أدل على ذلك من قوله: أنا أول الملوك»[1] .

وظل معاوية يحكم من سنة ٤١هـ حتى موته سنة ٦٠هـ، وتولى الخلافة بعده ابنه يزيد، وفي عهده حدثت واقعة كربلاء سنة ٦١ هجرية، واستشهد الإمام الحسين بن علي وأهل بيته وأصحابه، وسُبيت نساء بيت النبوة. كما حدثت واقعة الحرّة، وفيها حوصرت

١- Nicholson, p 139 نقلا عن: حسن إبراهيم حسن، *تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي* ٢٧٨/١ - ٢٧٩، ط ٧، بيروت ١٩٦٤.

المدينة المنورة ، ثم استباحها الجيش الأموي ثلاثة أيام، فقتلوا الرجال وانتهكوا الأعراض ، واستُشهد فيها زهرة أهل المدينة من الفرسان ومن خيرة صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وفي سنة ٦٤هـ حوصرت مكة بعد أن تحصّن فيها ابن الزبير، ورميت الكعبة المقدسة بالأحجار والنار والنفط فانهدمت واحترق البناء.

بعد موت يزيد سنة ٦٤هـ بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام، ولعبد الله بن الزبير في الحجاز. لكن معاوية هذا كان قويًا في إرادته، فما أعمته مغريات الحكم والسلطان عن رؤية الحق والاعتراف به، فصعد المنبر وقال: «أيها الناس، إن جدّي نازع الأمر أهلَه، ومن هو أحقّ به منه لقرابته لرسول الله(صلى الله عليه وآله) وهو علي بن أبي طالب. وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، فصار في قبره رهينًا بذنوبه وأسيرًا بخطاياه. ثم قلّدَ أبي الأمر فكان غير أهل لذلك. وركب هواه وأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، وصار في قبره رهينًا بذنوبه وأسيرًا بجرمه». ثم بكى حتى جرت دموعه على خديه وقال:«إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأباح الحرم وخرّب الكعبة. وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم فشأنكم وأمركم...»[1] **ثم دخل منزله وتغيب حتى مات في سنته بعد أيام.**

١- حسن إبراهيم حسن ٢٨٧/١ - ٢٨٨ .

بعد موت معاوية الثاني انقسم عرب الشام إلى مؤيد لابن الزبير وهم القيسية، ومؤيد للأمويين وهم قبيلة كلب واليمانية. واستطاع مروان بن الحكم أن يقود القبائل الموالية للأمويين، ويدفعها لقمع القبائل القيسية في واقعة مرج راهط سنة ٦٥هـ فاستتب له الأمر في الشام.

ومروان هو ابن الحكم بن العاص بن أمية، فهو من نفس البيت الأموي. وأبوه له مواقف عدائية مشهورة من الدعوة الإسلامية ومن رسول الإسلام، فكان يؤذي الرسول بشتى ألوان الأذى. وفي مرّة اشتد غضب رسول الله(صلى الله عليه وآله) عليه وقال: «من عذيري من هذا الوزغ»؟ ثم أخرجه من المدينة وقال: «لا يساكنني فيها أبدًا»[1].

ولما ولي الخلافة عثمان أعادَ الحَكَم، وكان من ذوي قرباه، إلى المدينة وأعطاه مالا كثيرًا، واتخذ ابنه مروان وزيرًا له ومشيرًا، وولاّه معاوية المدينة مرتين.

مات مروان سنة ٦٥ هـ، فولي الخلافة ابنه عبد الملك بن مروان وفي عهده ثار المختار فقضى على ثورته مصعب بن الزبير. وثار عبد الرحمن بن الأشعث فأخمد ثورته عبد الملك على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، كما استخدم عبد الملك الحجّاج لإرهاب كل

١- ابن ابي الحديد ١٤٨/٦؛ والمسعودي، علي بن الحسين، *مروج الذهب* ٣٣٤/٢ ، ط ٢، قم ١٤٠٤هـ.

الموالين لآل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) وخاصة في العراق، فارتكب من المجازر ما تقشعرّ له الأبدان.

بعد موت عبد الملك سنة ٨٦هـ تولى الخلافة ابنه الوليد. ثم وليها ابنه سليمان سنة ٩٦هـ. وفي عهدهما ازدادت حركة الفتوحات الإسلامية.

جدير بالذكر أن مصر انضمت لابن الزبير اعتقادًا من أهلها أنه يدعو لأهل البيت[1]. وحين انتصر المروانيون تولّى حكومةَ مصر عبد عبد العزيز بن مروان فأخذ يتصرف فيها كسائر ولاة بني أمية الذين «اتخذوا مالَ الله دُوَلاً وعبادَهُ خَوَلا»[2] ولكنه واجه بغض المصريين لمروان وبني أمية، فأدخل في سياسته كثيرًا من الإصلاح واستتب له الأمر عشرين سنة (٦٥ - ٨٦) ، وخلالها ولد ابنه عمر.

قضى عمر بن عبد العزيز فترة من حياته في مصر ثم في المدينة المنورة، ثم في دمشق، وولاه عمه عبد الملك المدينة، وبقي بها سبع سنين. وولاه سليمانُ عهدَه. وأصبح بعد موت سليمان سنة ٩٩ خليفة للمسلمين.

اشتهر عمر بن العزيز بالصلاح والتقوى، وعرف من مجالسته العلماءَ والفقهاءَ في المدينة المنورة مكانةَ آل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، لذلك ألغى السنّة الأموية التي بدأت منذ عهد معاوية

١- حسن إبراهيم حسن ٢٩٣/١ .

٢- انظر إلى رسالة أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) إلى مالك الأشتر لمّا ولاّه مصر، *نهج البلاغة* ، تحقيق صبحي الصالح: الرسالة ٦٢ .

بسبّ أمير المؤمنين علي على المنابر، وجعل مكانها قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان، و إيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾. **وأعاد فدك إلى آل البيت، وأمر بكتابة الحديث النبوي الشريف بعد أن كان ذلك محظورًا منذ عصر الخلفاء الراشدين. ورفع الجزية عمّن أسلم من أهل الذمة. واهتمّ بنشر الدعوة الإسلامية بالحجّة، فأرسل الدعاة إلى بلاد ما وراء النهر وشمال أفريقيا، فدخل الناس في دين الله أفواجًا. ودخل حتى مع الخوارج في مناقشة فكريّة. لكن خلافته لم تزد على سنتين وخمسة أشهر فمات أو قتل سنة ١٠١هـ. ويذكر المسعودي أن قبور الخلفاء الأمويين نبشت بعد قيام الدولة العباسية إلا قبر عمر بن عبد العزيز. فقد ظل معظّمًا يغشاه الناس**[1].

بعد موت عمر بن العزيز ولي الخلافة يزيد بن عبد الملك حتى سنة ١٠٥هـ، وكان من أشهر الخلفاء الأمويين انغماسًا في المفاسد والموبقات. ثم تولى هشام بن عبد الملك واشتهر بالانتقام من العلويين والتنكيل بهم وبزيادة الضرائب على الموالي. وفي عهده ثار زيد بن علي بن الحسين وثار الحارث بن سريج. وظل على سرير الخلافة حتى سنة ١٢٥هـ وبعدها ولي الوليد بن يزيد بن عبد الملك، واشتهر بالفسق والفجور والزندقة، وقتل سنة ١٢٦هـ. ثم ولي يزيد بن الوليد وبعده أخوه إبراهيم بن الوليد ولم تطل مدة حكمهما أكثر

١- *مروج الذهب* ١٨٢/٣ .

من سبعة أشهر. وكان آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد بن مروان بن الحكم. بويع بدمشق سنة ١٢٧هـ، وكان يُلقب بالحمار، وبقي حتى سنة ١٣٢هـ إذ سقطت الدولة الأموية.

أسلوبهم في الحكم

لاشك أن أسلوب الحكم في المجتمع له أثر على مجريات الأحداث الاجتماعية والفكرية والأدبية. والأمويون مارسوا طريقة تختلف كلّ الاختلاف عن طريقة من سبوقهم.

حوّلوا ولاية المسلمين من خلافة إلى مُلك، وكان من آثار ذلك ظهور الخلافات السياسية. فهي من ناحية بين آل بيت رسول الله، وهم وديعة الرسول في المجتمع المسلم ووارثو علمه وأحد الثقلين، وبين بني أمية الذين لم يكن لهم في بدء الإسلام نصيب من الشرف والمكانة لتأخرهم عن دعوته، بل لصدهم عن سبيل الله، وتآمرهم على الدعوة الإسلامية باستمرار. ثم هي من ناحية أخرى بين اليمنيين، ومنهم الأنصار الذين رأوا أن يبقوا على عهد رسول الله بنصرة آل بيته، وبين المضريين الذين يتألف منهم جيش معاوية بالشام.

وأحيى الأمويون العصبية القبلية، وقد بدأت الخطة من زمن معاوية، فقد كان من همّه أن يحيي هذه العصبية التي عمل النبي وخلفاؤه على قتلها لأنه يرى في إحيائها صرفًا للعرب عن التفكير في اغتصابه للسيادة، و إضعافًا لهذه القبائل بجعل بأسهم بينهم،

وظفرًا بعد ذلك باصطناع من يريد اصطناعه منهم[1].

وخمدت نيران العصبية مدة قصيرة خلال فترة خلافة عمر بن عبد العزيز، لكنها ما لبثت أن استعرت. وأخذ الخلفاء الأمويون بعده يعملون على توسيع الخلاف بين القيسية والمضرية، فنراهم ينضمون إلى القيسية حينًا وإلى اليمنية حينًا آخر[2].

ومن أساليبهم إشاعة التحلل الخلقي وخاصة في الحجاز حتى صار الحجاز مثابة للهو والترف، من أجل أن يوقعوا أبناء المهاجرين والأنصار في أسر اللهو وليشغلوهم عن المطالبة بالخلافة. ولقد تعمدوا أن يملأوا المدينة بأسباب الفساد. فتهاونوا في إقامة حدود الشرع بها حتى شربت الخمر وارتكبت الفواحش، ومنها انتشر الغناء في المملكة العربية[3].

ونهج الأمويون أسلوب الإرهاب مع معارضيهم، وخاصة مع الموالين لعلي بن أبي طالب(عليه السلام). ويُروى عن الإمام محمد بن علي بن الحسين الباقر قال: «وقُتلت شيعتنا بكل بلدة، وقُطعت الأيدي والأرجل على الظَنّة. وكل من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سُجن أو نُهب ماله، أو هُدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين(عليه السلام)»[4].

١- محمود مصطفى، *الأدب العربي وتاريخه في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية* / ١٥٦، كتاب دراسي مقرر بكلية اللغة العربية من الجامعة الأزهرية، القاهرة ١٣٥٦هـ.

٢- حسن إبراهيم حسن ٣٣٨/١ .

٣- *الأدب العربي وتاريخه* / ١٥٧ .

٤- محمد مهدي شمس الدين، *ثورة الحسين* / ٧٠، ط ٥ دار المثقف المسلم، قم ١٣٩٨ .

ولم يكن هذا الإرهاب مقتصرًا على البيت السفياني، بل مارس البيت المرواني أشد ألوان البطش والتنكيل بالعلويين وخاصة في زمن عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف، وفي عهد هشام بن عبد الملك.

ومارس الأمويون تخدير الأمة الإسلامية باسم الدين وشلّ الروح الثورية فيها. وسلكوا لذلك سبل عديدة منها: القدح في عليّ وآل بيته، والأمر بسبّه على المنابر، ونشر أحاديث مكذوبة تدعو إلى التحذير من الثورة والحثّ على الرضوخ والاستسلام والصبر على الظلم، وإشاعة فكرة الإرجاء التي تقول: إن الإيمان عمل قلبي خالص لا تضرّ معه معصية، ونشر فكرة الجبر التي توحي أن الحكم الأموي قَدَر مرسوم من الله لا يمكن تغييره[1].

وفي سياسة المال نهج الأمويون أسلوبا خاصًا. وقد ظهرت الارستقراطية القرشية منذ عهد الخليفة عثمان تجمع الثروات وتستأثر بالأموال وتحرم الناس من حقوقهم، وعبّر سعيد بن العاص عن هذا التوجّه بقوله: «إنما السواد (العراق) بستان لقريش ما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركناه»[2]. **وحين استولت هذه الفئة على الخلافة مارست العبث بأموال بيت المال، وقال معاوية موضحًا فلسفته في جمع المال بقوله: «الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ**

١- *ثورة الحسين* / ١٠٥ وما بعدها.

٢- المصدر نفسه / ٤١ .

من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزًا لي». وكان الخلفاء الأمويون يخترعون الطرق للاستكثار من المال. وفرضت على المسلمين غير العرب الجزية ورفعها عمر بن عبد العزيز لكن هشام بن الحكم فاجأ الإيرانيين بضريبة خراجية لا قِبَل لهم باحتمالها. أما الموالون لعلي فكانوا محاربين في أرزاقهم أشدّ المحاربة، وكتب معاوية إلى بعض عماله يقول: «انظر إلى من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه».

إن النظام الحاكم المتجبر ـ النظام الشاهنشاهي ـ يتعاضد بكل قواه مع إسرائيل وعملائها، حيث سلّمها الوسائل الإعلامية والدعائية في هذا البلد، وترك لها مطلق الحرية بالتصرف بها، وقد فسح المجال التام لها في النفوذ إلى الجيش والمؤسسات الثقافية وسائر الوزارات الأخرى، وأعطيت لها المناصب الحساسة في الدولة. عليكم أن تذكّروا الشعب دومًا بأخطار إسرائيل وعملائها في إيران، إن الركون إلى الصمت في هذه الأيام يعد تأييدًا للنظام المتجبر لأعداء الاسلام واحذروا عواقب الأمور.

من نداء الإمام الخميني (رض) إلى الوعاظ والخطباء الدينيين في زمن الشاه

المجتمع الإسلامي
في العصر الأموي

• طبيعة الإسلام تدفع نحو التكامل والرقي • الإمام زين العابدين علي بن الحسين يدعو للجيوش الغازية في الفتوح ، ولو كانت بقيادة أموية • الحسين بثورته أحبط الخطة الأموية في إذلال المسلمين • الإمام الحسن اهتم بتدوين العلوم • كانت الذهنية السائدة في القبيلة الأموية الحاكمة تقوم على أساس قبلي عنصري • من مظاهر الامتزاج العرقي بين العرب والإيرانيين شيوع اللغتين العربية والفارسية بين الجانبين • حماة الدين سعوا إلى إزالة الفواصل بين الشعوب المسلمة.

كادت الخطة الأموية تدفع بمسيرة المجتمع الإسلامي نحو ردّة جاهلية لولا أن ظهر تيار يقاوم هذه الخطة، وكان هذا التيار يدعو إلى انتهاج سيرة رسول الله(صلى الله عليه وآله)وسيرة أمير المؤمنين علي في الحياة الفردية والاجتماعية.

وكاد هذا التيار يُقضى عليه تمامًا بسبب بطش الأمويين، إلاّ أنّ الإمام الحسن بن علي صانه من الإبادة في عملية صلحه مع معاوية. غير أن هذا التيار أصيب نتيجة الإرهاب الشديد بحالة ذلّ وهزيمة نفسية وتخاذل. وجاءت حادثة كربلاء ومواقفها البطولية ونداءات

الحسين بن علي فيها لتبعثّ هزّة في المجتمع الإسلامي أحيته من رخوته، وسرت فيه روح نضالية ما هدأت إلا بعد أن استأصلت شأفة الأمويين.

والواقع أن طبيعة الإسلام؛ باعتباره دين الفطرة ومنهج السموّ الإنساني والكمال البشري والتحرّر الواقعي، ظلت رغم كل العقبات تدفع بالمجتمع المسلم نحو التكامل والرقي في مجالات العلم والفكر والصلاح والتقوى والدعوة والجهاد. كما كان لأهل بيت رسول الله الدور الهام في تأصيل هذه المسيرة الإسلامية ومواصلتها وصيانتها من كل زيغ وانحراف. ونقف قليلا عند بعض مظاهر الروح الإسلامية وأدوار أهل البيت في المجتمع الإسلامي لهذا العصر.

الفتوحات الإسلامية

تواصلت حركة الفتوحات الإسلامية في هذا العصر، واشترك فيها المسلمون بدافع نشر دعوة الله وطلبًا لمرضاته ورغبة في نيل إحدى الحسنيين. لم تثن السياسة الأموية المسلمين عن المساهمة الفعّالة في حركة الفتوح الإسلامية في هذا العصر، بل اعتبروا هذه الفتوح ذات أهداف لا ترتبط بالأمويين ونهجهم. **ولذلك نجد الإمام علي بن الحسين زين العابدين يدعو للجيوش الغازية في الفتوح، ولو كانت بقيادة أموية ويقول:**

«اللهم وأيّما غاز غزاهم من أهل ملتك، أو مجاهد جاهَدَهم من أتباع سُنّتك، ليكون دينُك الأعلى، وحزبُك الأقوى، وحظُّك الأوفى، فلقّه اليسر، وهيّ، له الأمر، وتولّه بالنُجح، وتخيّر له الأصحاب، واستَقوِ له الظَّهر، وأسبغْ عليه في النَّفقة»[1].

وكان كبار الصحابة يشاركون في هذه الفتوحات. ونرى على سبيل المثال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري يشاركون في جيش جهزه معاوية لفتح القسطنطينية سنة ٤٨هـ بقيادة سفيان بن عوف، وأمّر معاويةُ يزيد على هذا الجيش.

وبفضل هذه الروح الإسلامية اتسعت رقعة العالم الإسلامي في هذا العصر، ففتحت بلاد ما وراء النهر وبلاد السند والأندلس.

رفض الظلم والاضطهاد

لقد غرس الإسلام هذه الروح في نفوس أبنائه، وأمرهم أن لا يقرّوا على ضيم، ويقارعوا الظالمين، ويدافعوا عن المستضعفين. وكانت الخطة الأموية تستهدف إضعاف هذه الروح، لكنّ الحسين بن علي بتضحياته الجسيمة أحبط الخطة، فتصاعدت الثورات الرافضة للظلم. من ذلك ثورة التوابين، وكانوا يقولون: «يارب، إنا قد خذلنا نبينا، فاغفر لنا ما مضى، وتب علينا إنك أنت

١- *الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام علي بن الحسين* / ١٣٥ ط ١، قم ١٤١١هـ.

التواب الرحيم، وارحم حسينًا وأصحابه الشهداء الصديقين. و إنا نشهدك يارب إنا على مثل ما قتلوا عليه، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين»[1].

ثم ثار أهل المدينة بعد أن اطلعوا من وفد أرسلوه إلى دمشق على أعمال يزيد فقد أخبرهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة بقوله: «والله إنه (يزيد) يشرب الخمر، والله إنه ليسكر حتى يدع الصلاة»[2].

ثم إن ثورة الحسين هي التي شجعت الناس ليلتفوا حول كل معارضة للأمويين، من ذلك استجابتهم لدعوة ابن الزبير ولثورة المختار الثقفي وثورة مطرف بن المغيرة وثورة ابن الاشعث. وكان منطق كل هذه الثورات يدور حول إقامة العدل وتطبيق الكتاب والسنة ومحاربة الظالمين.

هذا عبد الله بن مطيع العدوي عامل ابن الزبير على الكوفة يقول للناس: «.. أما حمل فيئنا ، فإنا نشهد أنّا لا نرضى أن يُحمل عنّا فضلُه، و إلاّ يُقسَّم إلا فينا، وأن لايُسار فينا إلا بسيرة علي بن أبي طالب»[3].

ومطرف بن مغيرة يذكر أسباب ثورته فيقول: «ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه والى جهاد من عَنَدَ عن الحق واستأثر بالفيء وترك حكم الكتاب»[4].

١- *ثورة الحسين*، محمد مهدي شمس الدين / ٢٦٤ .

٢- المصدر نفسه / ٢٧٠ .

٣- المصدر نفسه / ٢٧٣ .

٤- المصدر نفسه / ٢٧٧ .

وثورة ابن الأشعث على الحجاج انضمّ إليها الفقهاء والقرّاء والأتقياء وتعاهدوا «على كتاب الله وسنة نبيه، وعلى جهاد أهل الضلالة وخلعهم، وجهاد المحلين»[1].

أما ثورة زيد بن علي فكان شعار ثوارها «يا أهل الكوفة اخرجوا من الذلّ إلى العزّ، و إلى الدين والدنيا»[2].

واستمرت هذه الروح النضالية حتى بعد العصر الأموي، فتوالت الثورات ضد ظلم بني العباس، وكان محورها ومنطلقها أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله). من ذلك على سبيل المثال ثورة محمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي الحسني على المأمون. كان محمدبن إبراهيم هذا يمشي في بعض طرق الكوفة، إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب، فتلتقط ما يسقط منها فتجمعه في كساء عليها ربّ، فسألها عما تصنع بذلك، فقالت: إني امرأة لأرجل لي يقوم بمؤونتي . ولي بنات لا يَعُدْنَ على أنفسهنّ بشيء، فأنا أَتَتَبّع هذا من الطريق وأتقوّته أنا وولدي . فبكى بكاء شديدًا وقال:

«أنتِ وأشباهُكِ تخرجونني غدًا حتى يُسفَكَ دمي، ونَفَذَت بصيرته في الخروج»[3].

من هنا نفهم قدرة الإسلام ودور أهل البيت في صيانة الدين

١- المصدر نفسه / ٢٨١ .

٢- المصدر نفسه / ٢٨٣ .

٣- المصدر نفسه / ٢٨٦ .

الحنيف وصيانة ما في المجتمع من طاقة روحية لازمة لمسيرته التكاملية.

الحياة العلمية والثقافية

لم يكن أحد من الخلفاء الأمويين يهتم بالحركة العلمية والثقافية سوى ما روى عن عمر بن عبد العزيز خلال مدة حكمه القصيرة، وما كان ولاتهم بأفضل منهم، لكن الحركة العلمية بفضل نفس عوامل الاستمرار المذكورة آنفًا: طبيعة الإسلام ودور أهل البيت لم تتوقف، بل تواصلت في العصر الأموي.

وكان من الطبيعي أن ينصبّ الاهتمام بالدرجة الأولى على العلوم المرتبطة بفهم الإسلام من مصدرية الأساسيين: الكتاب والسنّة، وباستنباط الإحكام الفردية والاجتماعية منهما. ولذلك ظهرت علوم قراءات القرآن و إعرابه وتفسيره وفهم مفرداته، والعلوم المرتبطة برواية الحديث ودرايته، وهكذا علوم الفقه. وكان الاهتمام بالأدب والسيرة جزء من الاهتمام بالقرآن والسنّة.

لقد اشتهر أمير المؤمنين علي بين صحابة رسول الله بالعلم، وقال عنه الحافظ أبو نعيم في *حلية الأولياء*: «باب مدينة العلم ورأس المخاطبات ومستنبط الإشارات.. وأعظمهم حلمًا، وأوفرهم علمًا. زينة العارفين، المنبئ عن حقائق التوحيد، صاحب القلب العقول واللسان السؤول والأذن الواعي..».

وسار على هذا النهج الأئمة من أبنائه، فالإمام الحسن اهتم كما يذكر المؤرخون بتدوين العلوم التي تلقّاها في عصر الرسالة عن أبيه وجدّه لصيانتها من الضياع.

عن السيوطي في تدريب الراوي أنه كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهها كثير منهم، وأباحَها طائفةٌ وفعلوها منهم علي وابنه الحسن.

لإن كان هَمُّ الحسَنَين قد تكرّس في صيانة الإسلام من تلاعب المتلاعبين، فقد توفّرت الفرصة بَعدَهما لنشر حقائق الإسلام ودفع الحركة العلمية. وبدأت هذه الفرصة بعد انفضاح البيت الأموي وتوجّه عامّة المسلمين إلى آل بيت رسول الله، وكان علي بن الحسين زين العابدين مثابة الفقهاء والعلماء «وروى عنه الفقهاءُ من العلوم ما لايُحصى كثرة، وحُفِظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء». وولده محمد بن علي الباقر «روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوهُ التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين» أما ابنه جعفر بن محمد الصادق وهو آخر إمام عاصر الحكم الأموي من أئمة آل البيت، فقد روى ابن حجر في صواعقه أنه: نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في البلدان. وجمع الحافظ ابن عقدة الزيدي في كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقات الذين رووا عن جعفر بن محمد فضلا عن غيرهم وذكر مصنفاتهم[1]!!

١- انظر *أعيان الشيعة* في ترجمة الأئمة المذكورين.

كل هذا ينبئ بحركة علمية صاخبة في هذا العصر. وأكبر الظن أن الحركة العلمية في مدرسة آل البيت قد استوعبت كلَّ علوم عصرها، لكي يكون لها الموقف الرائد القيادي في جميع المجالات الدينية والدنيوية، ولعل ما روي عن اشتغال بعض تلاميذ الإمام الصادق في العلوم الطبيعية، كاشتغال جابر بن حيان في علم الكيمياء مايدل على ذلك.

وحين تمازجت الشعوب المختلفة بعد الفتوحات انصبّ العلم النافع لهذه الشعوب في تيّار الحركة العلمية الإسلامية وأثراها. من ذلك ما أخذه المسلمون من مدرسة جنديسابور في إيران ومدارس الشام والإسكندرية. وهناك أخبار تدل على ترجمة بعض العلوم في هذا العصر من الفارسية والسريانية واليونانية إلى العربية.

ويظهر من كتاب *الفهرست* أن حركة التدوين نشطت في هذا العصر، فدونت التفاسير والأحاديث والفقه والرسائل البليغة والأشعار والأنساب والمغازي ومقتل الحسين و... وهذه ظاهرة عجيبة! فاللغة العربية التي لم يكن يُحسن الكتابةَ فيها إلا بضعُ أشخاص في بداية ظهور الإسلام أصبحت خلال القرن الهجري الأول لغةَ مؤلفات ضخمة في شتى العلوم.

و إذْ أشرنا إلى الحركة العلمية التي شهدها هذا العصر في إطار مدرسة أهل البيت، لابد من الإشارة أيضا إلى ما شهده المجتمع من حركة ثقافية خارج هذه المدرسة.

فقد ظهر في «الكلام» تيار فكري تزعّمه الحسن البصري (٢١

- ١١٠هـ) وتلميذه واصل بن عطاء(٨٠ - ١٣١هـ) ومن هذا التيار ظهرت مدرسة الاعتزال. وهذه المدرسة أوقعت المسلمين في جدل كلامي لا طائل تحته، وأثارت بلبلة فكرية كان المسلمون في غنى عنها. ويرى محمد بن عبد الكريم الشهرستاني صاحب *الملل والنحل* «إنما وقع لهم هذا التحيّر لأنهم ما ارتادوا العلم من بابه، ولم يتعلقوا بذيل أسبابه، فانغلق عليهم الباب، وتقطعت بهم الأسباب وذهبت بهم المذاهب حيارى ضالين»[١] ويرى أن هذا الباب هو الأئمة من آل بيت رسول الله.

وتذكر الأخبار ظهور تيار صوفي في هذا العصر آثر الانعزال عن الحياة الاجتماعية، ظانًا أنه السبيل الصحيح للنجاة من المفاسد والمحرمات، ومنهم طاووس اليماني و إبراهيم بن أدهم ومحمد بن المنكدر، ويروى أن هذا الأخير رأى الإمام الباقر في حرّ الظهيرة يعمل على أرض في ضواحي المدينة ويتصبب عرقًا فقال له: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا. كيف بك لو جاء الموت وأنت على هذا الحال؟! فأجابه الإمام الباقر: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله، أكفّ بها نفسي عنك وعن الناس . و إنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله. فقال ابن المنكدر: يرحمك الله أردت ان أعظك فوعظتني[٢].

١- *مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار*، مخطوط.

٢- *أعيان الشيعة*، م ١ / ٦٥٢ .

الانصهار العرقي

كانت الذهنية السائدة في القبيلة الأموية الحاكمة تقوم على أساس قبلي عنصري، فهم إضافة إلى إثارتهم صراعًا قبليًا في المجتمع الإسلامي، حاولوا أيضا إثارة نزاع عنصري بين العرب والموالي، وشجعوا مظاهر احتقار غير العرب وامتهانهم وفصلهم عن العرب وعزلهم عن المسؤوليات القيادية، بل حتى عن المسؤوليات العلمية، بل بلغ بهم الأمر أن يفكروا في إبادتهم.

جاء في *العقد الفريد* أن معاوية دعا الأحنف بن قيس وسَمُرة بن جنُدب، فقال: إني رأيت هذه الحمراء (الموالي) قد كَثُرت ، وأراها قد طعنت على السلف، وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب والسلطان، فقد رأيت أن أقتل شطرًا، وأدع شطرًا لإقامة السوق وعمارة الطريق..»[1].

بهذه العقلية كان يتعامل مؤسس الدولة الأموية مع غير العرب. وكان أصحاب هذا اللون من التفكير يتميزون غيظًا من هذه المساواة التي أعلنها الإسلام بين المسلمين، ومن التقدم الذي أحرزه غير العرب في علوم الإسلام. يروي صاحب العقد الفريد حوارًا دار بين ابن أبي ليلى وواحد من الأمراء المتعصبين، إذ سأله:

- من كان فقيه البصرة؟- الحسن بن أبي الحسن.- ثم من؟- محمد بن سيرين.- فماهما؟- موليان.- فمن فقيه مكة؟- عطاء

١- *العقد الفريد* ٣ / ٣٦١ .

بن أبي رباح ومجاهد بن جبر وسعيد بن جبير، وسليمان بن يسار.- فما هؤلاء؟

- موالي. فتغيّر لونه ثم قال: من أفقه أهل قباء؟- ربيعة الرأي، وابن أبي الزناد. - فما كانا؟- من الموالي. فاربدّ وجهه ثم قال:- من كان فقيهَ اليمن؟- طاووس، وابنه وهمام بن منبه.- فما هؤلاء؟ - من الموالي. فانتفخت أوداجه فانتصب قاعدًا، ثم قال: - فمن كان فقيه خراسان؟- عطاء بن عبد الله الخراساني. - فما كان عطاء هذا؟- مولى .

يقول الراوي: فازداد وجهه تربُّدًا واسودّ اسودادًا حتى خفتُه، ثم قال: فمن كان فقيه الشام؟ - مكحول . - فما مكحول هذا؟ - مولى. فازداد تغيّظًا وحَنقًا، ثم قال: فمن فقيه الجزيرة؟ - ميمون بن مِهران. - فما كان؟ - مولى.

قال: فتنفس الصعداء ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟ قلت: فو الله لولا خوفه لقلت: الحكم بن عيينة، وعمار بن أبي سليمان، ولكن رأيت فيه الشر، فقلت: إبراهيم والشعبي. قال: فما كانا؟ قلت: عربيان. قال: الله اكبر! وسكن جأشه[1].

والرواية، إضافة إلى دلالتها على عصبية الأمير، تدل من جهة أخرى على المكانة العلمية التي تمتع بها الموالي في المجتمع الإسلامي، بفضل تعاليم الإسلام وقدرته على تفجير الطاقات

١- *العقد الفريد* ٣ / ٣٦٣ - ٣٦٤ .

الكامنة في هؤلاء الموالي، ومعظمهم من الإيرانيين، بعد أن حرّرهم من سيطرة الطواغيت.

ومن مظاهر الامتزاج العرقي بين العرب والإيرانيين بشكل خاص شيوع اللغتين العربية والفارسية في المجتمعات الإسلامية، ومما يدل على شيوع الفارسية في البصرة على سبيل المثال ما يروى من أن يزيد بن مفرّغ حين هجا أسرة عبيد الله بن زياد في ولايته عليها سقاه نبيذًا وحمله على دابة وأمر أن يُطاف به في الشوارع. فتجمّع حوله الصغار يسألونه بالفارسية: اين چيست؟ فكان يجيبهم:

آب است نبيذ است عصارات زبيب است

سُميّه روسپيد است[1]

ومن مظاهر هذا الامتزاج التزواج بين العرب والإيرانيين، وهجرة القبائل العربية إلى إيران عامة وخراسان بشكل خاص، وهجرة الإيرانيين إلى الجزيرة العربية وخاصة مكة والمدينة. واهتمام الإيرانيين باللغة العربية، وشيوعها بينهم حتى نبغ منهم الكتاب والشعراء والمؤلفون في العلوم العربية المختلفة. ومن مظاهر هذا الامتزاج أيضًا شيوع المفردات الفارسية في اللغة العربية حتى وردت في شعر جرير والفرزدق.

وكان حماة الدين في سلوكهم يحاولون إزالة الفواصل بين الشعوب المسلمة، وترسيخ مفهوم: ﴿إن أكرمكم عند الله

١- آب: تعني ماء، وسميّه روسپيد است: أي سميّه فاجرة.

أتقاكم﴾ ومحاربة التمييز العنصري. يروى أنه «كان لمعاوية عين بالمدينة يكتب إليه بما يكون من أمور الناس، فكتب إليه أن الحسين بن علي أعتق جارية له وتزوجها. فكتب معاوية إلى الحسين: من أمير المؤمنين معاوية إلى الحسين بن علي. أما بعد، فإنه بلغني أنك تزوجت جاريتك، وتركت أكفاءك من قريش من تستنجبه للولد، وتُمجَّد به في الصهر، فلا لنفسك نظرت ولا لولدك انتقيت. فكتب إليه الحسين (عليه السلام):

أما بعد، فقد بلغني كتابك وتعييرك إياي بأني تزوجت مولاتي وتركت أكفائي من قريش. فليس فوق رسول الله منتهى في شرف، ولا غاية في نسب، و إنما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بأمر التمست فيه ثواب الله، ثم ارتجعتها على سُنّة نبيّه (صلى الله عليه وآله). وقد رفع الله بالإسلام الخسيسةَ، ووضع عنّا به النقيصةَ، فلا لومَ على امرئ مسلم إلاّ في أمرٍ مأثم، و إنما اللوم لوم الجاهلية.

فلما قرأ معاوية كتابه نبذه إلى يزيد فقرأه، وقال: لَشَدَّ ما فخر عليك الحسين. قال: لا، ولكنها ألسنة بني هاشم الحِداد التي تفلق الصخر وتغرف من البحر»[1].

١- *أعيان الشيعة* ٥٨٣/١.

موضوعات الشعر
في العصر الأموي

• رثى الشعراء شهداء آل البيت، مصورين عظم الرزايا، ومخلدين مواقفهم البطولية • عاطفة الولاء لآل البيت كانت مقرونة بإيمان بما جاهدوا في سبيله من عدالة سياسية واقتصادية واجتماعية • جور الولاة وظلمهم في هذا العصر أثار حفيظة الناس لكن الأنفاس خُنقت في الصدور خوفًا من بطش الأمويين • ثورة الحسين بن علي كسرت حاجز الإرهاب • الكميت بن زيد رفض الواقع الفاسد حيث الأحكام الإسلامية معطّلة والأفعال الجاهلية شائعة • غضب الصحابة على خطة بني أمية في إثارة العصبيات القبلية.

آل البيت[1]

المصائب التي أنزلها الأمويون بآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)وأتباعهم أثارت عواطف كل المسلمين الذين يعرفون منزلة هذا البيت الكريم وحرمته. وانعكست هذه العواطف في شعر شعراء هذا العصر على نطاق واسع. يعلنون فيه ولاءهم لآل البيت، ويدافعون عن نظريتهم في العدالة الاجتماعية، ويندبون شهداءهم .

*- انظر: عبد الحسيب طه حميدة، *أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري*، ومحمد سيّد كيلاني، *أثر التشيع في الأدب العربي*; وعبد الله نعمة، *الأدب في ظل التشيّع*.

ويلاحظ في هذا اللون من الشعر أنه يصدر عن عاطفة دينية صادقة، وعن إيمان بالرسول والرسالة.

يقول حرب بن المنذر بن الجارود:[1]

فحسبي من الدنيا كفافٌ يقيمني وأثوابُ كتّان أزورُبها قبري

وحبّي ذوي قربى النبي محمد فما سألنا إلا المودّة من أجر

ويشير في البيت الأخير إلى قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى﴾.

ويقول كَثِير بن كَثير السَّهْمي وهو من المحدّثين الشعراء لما سَمِع عمّال بني أمية يلعنون عليا وآل بيته:

لعنَ اللهُ من يَسُبُّ عليًا وحسينًا من سَوقة و إمامِ

أيُسَبُّ المطيَّبون جدودًا والكرامُ الأخوالِ والأعمام

يأمَنُ الظبيُ والحَمامُ ولا يأ مَنُ آلُ الرسول عند المقامِ

طبتَ بيتًا وطابَ أهلُكَ أهلا أهلُ بيت النبي والإسلام

رحمةُ الله والسلامُ عليكُم كلما قام قائمٌ بسلام

فلما عابوه على ولائه لآل البيت قالِ:

إن امرأ أمست معايبُه حُبَّ النبيّ لَغيرُ ذي ذنبِ

وبني أبي حسن ووالدِهم من طاب في الأرحام والصُّلبِ

أيُعَدُّ ذنبًا أن أحبَّهُمُ بل حبُّهم كفّارة الذنبِ[2]

ورثى الشعراء شهداء آل البيت، مصورين عظم الرزايا، ومخلّدين

١- *البيان والتبيين* ٣٦٥/٣ .

٢- الحوفي، احمد محمد، *أدب السياسة في العصر الأموي* / ١٨٧ نقلا عن ديوان الشاعر ٢٦٦/١ ط الجزائر.

مواقفهم البطوليّة، ومحرّضين على أخذ الثأر من الطغاة . وكان هذا الرثاء في الواقع صرخة بوجه الظالمين على مرّ العصور، يحيي في النفوس روح الاستشهاد والانتفاض على الذلّ والهوان. ومن أقدم ما وصلنا من هذا الرثاء قول سليمان بن قَتَّة، يرثي الحسين بن علي:[1]

مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها أمثالها يوم حُلّتِ
وكانوا رجاء ثم صاروا رزيّة ... وقد عظمت تلك الرزايا وجَلّتِ
ألم تر أن الشمس أضحت مريضةً ... لفقد حسين والبلادُ اقشعرّتِ
وقد أعولت تبكي السماءُ لفقدهِ ... وأنجمُها ناحت عليه وصلّتِ

ويُستشهد زيد بن عليّ فيقول فيه فضل بن العباس:[2]

إلا ياعين لا تَرْقَي وجودي ... بدمعكِ ليس ذا حينَ الجمودِ
وكيف تَضُنّ بالعبرات عيني ... وتطمع بعد زيد في الهجودِ
وكيف لها الرقادُ ولم ترائى ... جيادُ الخيل تعدو بالأسود
بأيديهم صفائح مُرهفاتٌ ... صوارم أُخلصت من عهد هودِ
بها نسقي النفوسَ إذا التقينا ... ونقتل كلَّ جبار عنيدِ
ونحكم في بني الحكَم العوالي ... ونجعلهم بها مثلَ الحصيدِ

وفي الأبيات يستنزل الشاعر دمعه ويطلب من عينه ان لا ترقى أي أن لا تجف وتسكن وكيف لها أن تهجد أي تنام بعد زيد؟! وكيف لها أن تنام وهي تنتظر نهضة تنتقم من بني مروان بن الحكم وتجعلهم كالزرع المحصود؟!

١- *مقاتل الطالبيين* / ١٢١.

٢- المصدر نفسه / ١٤٩ .

ثم إن عاطفة الولاء لآل البيت كانت مقرونة بإيمان بما جاهدوا في سبيله من عدالة سياسية واقتصادية واجتماعية. وهذا ما نراه جليًا في الشعر الموالي لآل البيت، فالعاطفة فيه ممتزجة بالدعوة إلى مقارعة الظالمين و إحلال العدل بين المسلمين.

الشكوى من الحكام[1]

جور الولاة وظلمهم في هذا العصر أثار حفيظة الناس لكن الأنفاس خُنقت في الصدور خوفًا من بطش الأمويين. غير أننا نرى من يأمن هذا البطش في ظروف خاصة فيرفع شكواه إلى الخليفة في لين واستعطاف . قدم عقبة الاسدي على معاوية فدفع إليه رقعة فيها:

معاوي إننا بَشَر فأسْجع ... فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجرَدتموها ... فهل من قائم أو من حصيد
فهبنا أمة هلكت ضياعًا ... يزيد أميرها وأبو يزيد
أتطمع بالخلود إذا هلكنا ... وليس لنا ولا لك من خلود
ذروا خَوَل الخلافة واستقيموا ... وتأميرَ الأراذل والعبيدِ

ولراعي الإبل النميري قصيدة عدها أبو زيد القرشي في يمدح فيها بني أمية ثم يقرن هذا المدح بشكوى من الحكام يقول

١- انظر: د. شوقي ضيف، *التطور والتجديد في الشعر الأموي*; ود. أحمد محمد الحوفي، *أدب السياسة في العصر الأموي*.

٢- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، *جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام* / ٧٢٩ وما بعدها ، تحقيق على البجاوي، طبعة دار نهضة مصر، القاهرة.

فيها:

أخليفـةَ الـرحمن إنـا معشـر حنفـاء نسـجد بكـرة وأصـيلا
عُــرب نــرى للّه في أموالنــا حـقَّ الزكـاة منـزلاً تنـزيلا...
فـادفع مظـالم عيّلـت أبناءنـا عنـا وأنقـذ شِـلونا المـأكولا
إن الـذين أمـرتهم أن يعـدلوا لـم يفعلـوا ممـا أمـرت فتـيلا
أخـذوا الكـرام مـن العِشـار منـا، ويكتـب للأميـر أفيلا
ظُلامـة

وفي البيت الأخير يشير إلى أن الولاة يأخذون منهم أفضل الأنعام (والمفروض أن تؤخذ الزكاة من أوساطها)، ثم يكتبون للأمير أنهم أخذوا «الافيل» منها أي الصغير السن.

ويتمادى الحكام الأمويون وولاتهم في ظلم الناس والاستهتار بحقوقهم و إذلالهم، حتى يأتي **عمر بن عبد العزيز** فيجهد في رفع الظلم عن العباد، ولكن الشكوى تستمر، لأن فساد الولاة استشرى، ويحتاج الأمر إلى ردعهم بقوّة، كما يقول كعب الاشقري مخاطبا هذا الخليفة :[1]

إن كنت تحفظ ماليك فإنما عمّال أرضك بالبلاد ذئابُ
لن يستجيبوا للذي تدعو له حتى تُجلَّد بالسيوف رقاب
بأكفِّ منصلتينَ أهلِ بصائر فـي وقعهنَّ مـزاجرٌ وعِقابُ..

١- *البيان والتبيين* ٣١٦/٣ .

الثورة على الحكام

لم يكن ردّ الفعل تجاه ظلم الحكام مقتصرًا على الشكوى، بل هناك من ارتفع إلى مستوى الثورة على الظالمين. وكان هؤلاء الثوار غالبًا من أهل البيت أو من أتباعهم والموالين لهم. **وتأتي ثورة الحسين بن علي على رأس هذه الثورات لأنها كسرت حاجز الإرهاب، ثم تتوالى الثورات في هذا العصر مثل ثورة التوابين، وثورة المدينة، وثورة المختار الثقفي، وثورة مطرف بن مغيرة، وثورة ابن الأشعث، وثورة زيد بن علي، وثورة ابنه يحيى، وثورة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وثورة يزيد بن المهلب، وثورة قبيلة عبد القيس بزعامة ابن الجارود، وثورة الزنج وثورة الحارث بن سريج، وثورة أبي مسلم الخراساني هذا إضافة إلى ثورات الخوارج والزبيريين**، ولهذه الثورات شعر وشعراء وخطب وخطباء، وتحتاج إلى دراسات أدبية مستفيضة تكشف عن طبيعتها وأهدافها، فهي ـ وإن اختلفت في درجة نزاهة قادتها وإخلاصهم وبصيرتهم ـ تعبّر أصدق تعبير عن إرادة أمة مسلمة رفضت الخضوع والذلّ، ونهضت في أقسى ظروف البطش والإرهاب والطغيان لتدافع عن عقيدتها وعزتها وكرامتها. ونقتصر هنا على ذكر بعض المقطوعات التي دعت إلى الثورة وحرّضت الناس على النهوض.

الكميت بن زيد الاسدي سخّر شعره للدفاع عن مدرسة آل البيت، ونشر تعاليمها التي ترفض ظلم الظالمين وتدعو إلى الثورة

عليهم. وهو لذلك يحثّ الأمة الإسلامية على اليقظة ويدعوها إلى رفض الواقع الفاسد حيث الاحكامُ الإسلامية معطَّلةٌ والأفعال الجاهلية شائعة، يقول في لاميته:

ألا هل عَم في رأيه متأمل؟ وهل مدبرٌ بعد الإساءة مقبل؟
وهل أمة مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النعسةَ المتزمِّلُ؟[1]
فقد طال هذا النومُ واستخرج الكرى المتزمِّـــــــــــــــــلُ؟[1]
وعُطّلت الأحكامُ حتى كأننا مساوِيَهُم لو كان ذا الميل يُعدلُ[2]
كلام النبيّين الهداة كلامنا على ملة غير التي نَتَنحَّلُ
ثم يقول:
فتلك ملوك السوء قد طال ملكهم وأفعالُ أهلِ الجاهلية نفعل
رضوا بفعال السوء من أمر دينهم فحتّام حتام العناء المطول؟!
فقد أيتموا طورًا عداء وأثكلوا

مدرسة آل البيت تحركت في هذا العصر، بعلمائها ودعاتها وشعرائها، لتبث تعاليمها في أرجاء الرقعة الإسلامية الواسعة.

وتحرك معها الكميت لإثارة الخراسانيين بشعره، فقد وجّه نداء إلى أهل مرو يستحثهم على الثورة في أبيات يقول فيها:[3]

١- أي: هل تستيقظ الأمة وتعود إلى نفسها وتهبّ من سكونها ، ويخلع أفرادها عنهم رداء الخمول والجبن، وتكشف ما نزل بها من الظلم والجور.

٢- أي طال سكوت الناس، وهذا السكوت يزيد المآسي ويشدّدها ولا يرفع الحيف والظلم عن الناس.

٣- الطبري ٤٣٣/٥ .

ألا أبلـغ جماعـةَ أهـل مـرو على ما كان من نأي وبُعد
رسـالةَ ناصـح يُهـدي سـلامًا ويـأمر في الـذي ركبـوا بجـدِّ
فـلا تهنـوا ولا ترضـوا بِخَسـف ولا يغـــرركم أســـدٌ بعهـــد
و إلا فـــارفعوا الـــرايات سودًا علـى أهل الضلالة والتعدّي

وفي الأبيات يحذّر أهل مرو من الاغترار بوعود قد يعرضها عليهم أسد أخو خالد القسري الذي تولى خراسان سنة ١١٧هـ.

ويلاحظ أن لغة المستحثين على الثورة تدور حول إيقاظ الناس على وضعهم المأساوي، وتنبيههم على ضياع دينهم ودنياهم معًا في ظل حكم الظالمين. يقول أبو جِلدة اليشكري أحد شعراء ثورة ابن الأشعث:[1]

أيـا لهفـي ويـا حُزنـي جميعًـا ويـا غـمّ الفـؤاد لمـا لقينـا
تركنـا الـدين والـدنيا جميعًـا وخلّينـــا الحلائـــل والبنينـــا
فمـا كنّـا أناسًـا أهـل ديـن فنصـــبر للـــبلاءِ إذا بُلينـــا
ولاكنـــا أنـــاسًا أهـــل دُنيا فنمنعهـــا و إن لـــم نَرجُ دينا..

وشعر الخوارج مليء بالدعوة إلى الثورة، ولكن على طريقتهم في استرخاص الحياة وطلب الموت، وكأنّ التخلص من الحياة الزائلة هو هدفهم الأعلى. تقول أم حكيم:[2]

أحمـل رأسـا قد سئمت حَملَه وقـــد مَلِلْتُ دَهنَه وغَســـلَه

١- *الأغاني* ١١ / ٣١٢ .
٢- *الأغاني* ٦/ ١٥٠ .

ألافتى يحملُ عنّي ثقله

ويقول قطري بن الفجاءة:

إلى كم تعاريني السيوف ولا أرى معاراتها تـدعو إليّ حِمـاميا

ويقول عمران بن حطان:[1]

أحـاذر أن أمـوت علـى فراشـي وأرجـو المـوت تحـت ذُرى العوالي

العصبيات القبلية[2]

الحكم الأموي اعتمد إثارة العصبية القبلية أسلوبًا لاستتباب حكمه وهذه العصبيات انعكست في شعر القبائل خاصة في البصرة وخراسان حيث الصراع القبلي بلغ ذروته. وكان في البصرة حلفان متصارعان، الأول: حلف تميم وقيس، ودخل في هذا الحلف فريق كبير من جيوش الإيرانيين الذين انضموا إلى المسلمين إبان الفتح الإسلامي وهم المعروفون بالأساورة. والثاني: حلف الأزد وبكر وعبد القيس. وكانت البصرة تغلي بالعصبيات القبلية، ويعظم شأن كل قبيلة فيها حين يتولى البصرة رجل من تلك القبيلة. وما كان النزاع مقتصرًا على الحلفين، بل إنه نشب أيضًا بين قبائل الحلف

١- *الأغاني* ١٤٦/١٦.

* - انظر: أحمد الشايب، *تاريخ النقائض في الشعر العربي*; ولويس شيخو، *نقائض جرير والأخطل*; وبهجة الأثري، *تاريخ نشوء الرجز وتطوره*; ومحمد حسين، *الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام*.

الواحد، فلم تعد عشيرة إلاّ ولها شاعر يفاخر بها ويُهاجم خصومَها. وهذه العصبيات انتقلت إلى خراسان لأنها فتحت على يد جند البصرة. وكان نتيجة هذه المعارك العنيفة بين شعراء القبائل ظهور شعر النقائض. ينظم شاعرُ قبيلةٍ قصيدة في الفخر بقبيلته وهجاء خصومها، فيردّ عليه شاعر بقصيدة على وزن قصيدته ورويّها، ويتجمع الناس من حواليهما يصفقون ويهتفون ويصيحون. وأشهر أصحاب النقائض جرير والفرزدق التميميان، الأول من عشيرة كليب اليربوعية، والثاني من عشيرة مجاشع الدارمية.

وقد يتصاعد أحيانًا صوت شاعر داعيًا إلى نبذ العصبية القبلية منطلقًا من عاطفة دينية، كقول شاعر بكر في خراسان نهار بن توسعة:[1]

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم
دعيَّ القوم ينصر مُدّعيه ... ليُلحقَه بذي النسب الصميم
وما كرم ولو شرفت جدود ... ولكن التقيّ هو الكريمُ

وقد ينعى شاعر على العرب تصارعهم على السلطة وتنازعهم فيما بينهم مما يؤدي إلى ذلهم وذهاب ريحهم، كقول عمارة بن فراس الحنفي في نزاع ربيعة ومضر في خراسان:[2]

أمست ربيعة في مروٍ وإخوتُها ... على عظيم من الأحداث والخطر

١- *الشعر والشعراء* ١/ ٥٣٧ .

٢- *معجم الشعراء* / ٧٨ .

ياليت شعري بمرو الشاهجان غدا أي الأميرين من بكر ومن مضر
يصلى بقتل ذريع في مُغمّضة حتى يصير ذليلا غير ذي نفرِ

وربّما يغضب الصحابة حين يواجهون خطة بني أمية في إثارة النزاعات القبلية، على نحو ما فعل النعمان بن بشير حين وفد على رأس جماعة من الأنصار على معاوية، فأمر حاجبه سعدًا أن يناديهم باسم قبائلهم من الأوس والخزرج، ويترك لقب الأنصار الذي شرفهم به القرآن الكريم ، فغضب النعمان بن بشير وقال:

يا سَعدُ لا تُعِد الدعاء فمالنا نَسَب نُجيب به سوى الأنصار
نَسَب تخيّره الإله لقومنا أثقِلْ به نسبًا على الكفّارِ
إنّ الذين ثووا ببدر منكم يومَ القُليبِ هُمُ وقود النار[1]

ولكن هذه الدعوات تضيع وسط الحرب القبلية الضارية التي تغذيها مصالح الحكم الأموي والطمع في السلطة ورواسب الجاهلية.

الشعوبية[2]

الإسلام دعوة إنسانية استهدفت القضاء على كل ألوان التمييز الطبقي والعنصري والقومي والقبلي، وقررت المساواة بين العناصر

١- الحوفي، *أدب السياسة* / ٤٥٩ .

* - انظر: أحمد محمد الحوفي، *التيارات المذهبية بين العرب والفرس*; وعبد العزيز الدوري، *الجذور التاريخية للشعوبية* .

البشرية، وبهذه النظرة الإنسانية اختلط العرب الفاتحون مع أبناء الشعوب المفتوحة عامة والإيرانيين بشكل خاص. تعاشروا وتعاونوا وتزاوجوا وأصبحوا بنعمة الله إخوانًا. هذه هي حالة التعايش العامة بين العرب والإيرانيين في العصر الإسلامي الأول، لكنّ السياسة الأموية مارست التمييز بين العرب وغيرهم. ففرضت الجزية على الإيرانيين وأرهقتهم بالضرائب الباهظة، ولذلك كان الإيرانيون ينضمون إلى كلّ حركة ساخطة على الحكم الأموي، وكان الحكم الأموي ينتقم بشكل خاص من الإيرانيين عقب فشل هذه الثورات كما فعل الحجاج بهم بعد فشل ثورة ابن الأشعث.

وحين تتجه السلطة إلى هذا اللون من الاستهانة بالمسلمين غير العرب، فان ذلك سيترك أثره حتمًا على التعايش الأخوي بين الفريقين، ويخلق عند بعض النفوس الضعيفة من العرب استعلاءً على غيرهم، كما يدفع بالإيرانيين إلى ردّ فعل عُرف باسم الشعوبية. واستعلاء العنصر العربي، وإن لم يكن ظاهرة عامة بفضل التربية الإسلامية، نجد له أمثلة كثيرة في هذا العصر. وعقد ابن عبد ربّه فصلاً في *العقد الفريد* ذكر فيه ألوان الإساءات التي مارسها بعض العرب بحقّ الإيرانيين[1]. وهو من الصور المخجلة في التاريخ الإسلامي. واستغل المستشرقون من أمثال فلهاوزن وفان

١- انظر *العقد الفريد* ٣/٤٠٣ وما بعدها.

فلوتن[1] هذه الحالات المؤلمة ليطعنوا في التعايش العربي الإيراني في ظل الإسلام خلال القرن الهجري الأول، متجاهلين الصور المشرقة في هذا التعايش، ومتناسين أن السياسة الجاهلية الأموية هي التي حاولت الإساءة إلى روح الأخوة الإسلامية بين الجانبين.

والشعوبية تعني الأممية في عصرنا الراهن، وقد تكون مأخوذة من الآية الكريمة: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عن الله أتقاكم﴾. وتقوم على أساس رفض استعلاء شعب على شعب آخر. وتجلت في هذا العصر بالانضمام إلى كل دعوة للمساواة بين العرب والعجم. وظهرت في الشعر بذكر مفاخر الإيرانيين مقابل مظاهر الاستعلاء والتفاخر العربي. وهذا التفاخر يتنافى مع روح الاخوة الإسلامية ومع هدف الإسلام في المساواة والقضاء على العصبيات الجاهلية. لكنه كان موجودًا ـ مع الأسف ـ في هذا العصر. ولم ينقل لنا التاريخ شعرًا شعوبيًا عن هذا العصر سوى شعر إسماعيل بن يسار. وهذا لا يعني أنه كان وحيدًا في هذه النزعة؛ بل لانه اشتهر بجرأته على التفاخر بأمجاد قومه أمام الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ولإسرافه في هذا الاتجاه.

ومما قاله في هذا التفاخر:

١- انظر فلهاوزن، *تاريخ الدولة العربية* / ٢٣٧، ترجمة الدكتور عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة ١٩٥٨ وفان فلوتن، *السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية* / ٤٥، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم، ومحمد زكي إبراهيم، مصر ١٩٣٤ وما بعدها.

رُبَّ خـــالٍ مُتَـوَّج لـــي وعـــمٍّ ماجد مُجتدى كريم النصابِ
إنمـا سـمّي الفـوارس بـالفر سِ مضـــــاهاةَ رفعـــــةِ
فـاتركي الفخـر يا أمـامَ علينا الانسابِ واتركي الجورَ وانطقي بالصوابِ
وأسـألي إن جهلـتِ عنـا وعـنكم كيفَ كنا في سالفِ الأحقاب
إذ نـــربّي بنـــاتنا وتـــدسو ن سَفاهًا بناتكم فـي الترابِ

والأبيات توحي أن الشاعر كان يواجه من يفخر عليه بحسبه ونسبه العربي الجاهلي، فرأى في ذلك جورا وخطلاً، وراح يشير إلى أمجاد قومه وعادات العرب في الجاهلية.

اللهو والمجون[1]

شاع اللهو والمجون في العصر الأموي، و إن كان قد بدأ يتسع - كما يقول الدكتور شوقي ضيف - منذ عصر الخليفة عثمان. فقد روى صاحب الأغاني أن عبد الله بن عامر والي عثمان على البصرة اشترى إماءً صنّاجات (عازفات) وأتى بهن إلى المدينة فكان لهنّ يوم في الجمعة يلعبن فيه، وسمع الناس منهنّ وأخذوا عنهنَّ[2].

ويقول ضيف: وممن عرف بالغناء من الأجانب في عصر عثمان طُويس المغني، وهو أول من غنّى بالعربية في المدينة من الموالي وألقى الخنث فيها. ومن مغنّي هذا العصر فِنْد، وهو مولى لسعد بن أبي

---

١ - انظر: فايد العمروسي، *الجواري المغنيات*؛ وشوقي ضيف، *التطور والتجديد في الشعر الشعر الأموي، والشعر الغنائي في مكة، والشعر الغنائي في المدينة*.

٢- *الأغاني* ٨/٣٢١.

وقاص.

ولماذا يبعث والي عثمان المغنيات إلى مدينة رسول الله دون غيرها من المدن، ثم لماذا يشيع الغناء في العصر الأموي بالحجاز بالذات، في مكة والمدينة؟ يرى الأستاذ الشيخ الأزهري محمود مصطفى **أن السبب يعود إلى خطة أموية استهدفت إيقاع أبناء المهاجرين والأنصار في أسر اللهو ليشغلوهم عن المطالبة بالخلافة، «ولقد تعمدوا (الأمويون) أن يملأوا عليهم المدينة بأسباب الفساد. فتهاونوا في إقامة حدود الشرع بها حتى شربت الخمر وارتكبت الفواحش، وصارت (المدينة المنورة) أكثر بلاد المسلمين مخنثين ومغنين، ومنها انتشر الغناء في المملكة العربية»**[1].

ويرى المسعودي أن الغناء لم يَنْمُ في المدينة ومثلها في مكة إلا منذ عصر يزيد بن معاوية، وقد يكون ذلك صحيحًا إذا أخذنا بنظر الاعتبار اهتمام يزيد باللهو والمجون والغناء، فقد كان «يشرب الخمر ويعزف بالطنابير وتضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب». ولقد بلغ الاستهتار بالقيم الإسلامية في قصر الخلافة الأموية ذروته على عهد يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد بن يزيد. يصف أبو حمزة الاباضي يزيد بن عبد الملك بأنه: «يشرب الخمر ويلبس الحلّة قُوّمت بألف دينار.. حبّابة (جارية) عن يمينه، وسلاّمة (جارية أخرى) عن يساره

١- *الأدب العربي وتاريخه في عصري صدر الإسلام والدولة الأموية* (كتاب دراسي في الأزهر الشريف) / ١٥٨.

تغنيانه حتى إذا أخذ الشراب منه كلَّ مأخذ قَدَّ ثوبه، ثم التفت إلى إحداهما فقال: ألا أطير»[1]. وقد أرسل في طلب مغني الحجاز فجاء فجاء منهم كثيرون.

أما الوليد ابنه فكان أعجوبة في فسقه وفجوره وزندقته، وسنذكره في موضوع الزندقة.

في ظلّ هؤلاء الحكام المتهتكين العابثين شاع الغزل الفاحش الذي لا يراعي حرمة للدين ولا لأهله.

كان عمر بن أبي ربيعة رائد الشعر الإباحي في هذا العصر يتخيّر في تصويره من النساء أشرفَ نساء المهاجرين والأنصار، ومن الأمكنة البيتَ الحرام والمشاعر، ومن الأزمنة موسمَ الحج، ومن المعاني أكثرها إثارة للشهوة، ومن المغنين أشهرهم لتلحين أشعاره والتغنّي بها أمام حجاج بيت الله الحرام، كل ذلك إمعانًا في هتك الحرمات والاستهتار بالمقدسات. تكثر الروايات بشأن سلوك عمر هذا من ذلك أنه «خرج ومعه ابن سريج على نجيبين، رحالتهما ملبستان بالديباج، وقد خضبا النجيبين ولبسا حُلّتين، فجعلا يتلقّيان الحاج، ويتعرّضان للنساء إلى أن أظلم الليل».

أي إنه كان يتخذ موسم الحج وسيلة لرؤية العفيفات والتغزل بهنّ وإشاعة غزله بين الناس، وهو يقول في ذلك:[2]

١- *البيان والتبيين* ٢/ ١٢٣.

٢- *عيون الأخبار* ٤/ ١٠٧.

يقصد الناسُ للطواف احتسابا وذنوبي مجموعة في الطواف

ولكي يزيد عمر في كسر الحرمات كان يصور النساء في أشرف الأماكن وأقدسها وهنَّ يغمزن له ويغازلنه:[1]

أبصرتُها ليلة ونسوتَها يمشين بين المقام والحجر
قالت لتِرب لها تُحدثها لنفسدنّ الطوافَ في عمر
قومي تصدّي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت في خفر..

ولم يكن عمر بن أبي ربيعة وحده في هذا الميدان، بل كان الأحوص والعرجيّ وراعي الإبل النميري يخوضون في أعراض الناس وهتك حرماتهم بالشعر الماجن.

وما تصدّى لهؤلاء الماجنين خليفة أموي سوى **عمر بن عبد العزيز**، يروى أنه كتب إلى عامله على المدينة: أن أحمل اليّ عمر بن أبي ربيعة والأحوص، فقد عرفتهما بالخبث فلما صارا عنده قال لعمر: هِيهِ:

فلم أرَ كالتجميرِ منظرَ ناظر ولا كليالي الحج أفلتن ذا هوى
وكم مالئ عينيه من شيءِ غيره إذا راحَ نحو الجمرةِ البيضُ كالدُّمى

فإذا لم يفلت الناسُ منك في هذه الأيام فمتى يفلتون؟

أما والله لو اهتممتَ بأمر حجّك لم تنظر إلى شيء غيرك، ثم أمر بنفيه. فقال: يا أمير المؤمنين، أوَ خيرٌ من ذلك؟ قال: ما هو؟ قال: أعاهد الله ألا أعودَ إلى مثل هذا الشعر، وأجدّد توبة على يديك. قال:

١- *الأغاني* ١٠٣/١.

أوَ تفعل؟ قال: نعم. فعاهد الله على التوبة وخلاّه.

الزندقة[1]

لا نقصد بالزندقة مدرسة فكرية معينة، بل حالة روحية ونفسية تبعث على إنكار ضروريات الدين من حساب وكتاب وبعث ونشور. وهذه الحالة تحدث عادة نتيجة انغماس صاحبها في المنكرات والسيئات، فتدفعه عقدة الذنب إلى نكران الدين كي يتخلص من تأنيب الضمير. والقرآن الكريم يقرّر هذا الترابط بين السيئات والتكذيب بالآيات بقوله تعالى: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوء أن كذّبوا بآيات الله﴾.

ومن الواضح أن الأمويين نهجوا في الحكم سبيلا يختلف كل الاختلاف عن نهج الرسول والخلفاء الراشدين، وكانت الدوافع في تغيير هذا المسير دنيوية سلطوية. وتذكر الوثائق التاريخية أن كثيرًا من خلفاء بني أمية وولاتهم لم يكن لهم أدنى اهتمام بمصلحة الدين بل كانوا غارقين في لهوهم وعبثهم ومجونهم وكان بعضهم قد صرّح بزندقته. ولاشك أن موقف هؤلاء الخلفاء والولاة يشجّع ذوي النفوس الضعيفة على التحلل والتهتك و إعلان الزندقة، ومن هنا نعتقد أن الزندقة انتشرت منذ هذا العصر، ثم تبلورت على شكل حركة في العصر العباسي حين تصدى لها المهدي منذ سنة ١٦٣هـ.

وأبرز من يمثّل شعر الزندقة في هذا العصر الخليفة الأموي الوليد

١- انظر: إبراهيم الابياري، *الوليد بن يزيد والدولة الأموية*؛ وعلي الجارم، *مرح الوليد*.

بن يزيد، فهو من ناحية خليفة مؤثّر في مجريات مجتمعه، ومن ناحية أخرى شاعر مشهور يسري شعره على الألسنة وينتشر بين الناس.

عاش الوليد في بيت أبيه الخليفة يزيد بن عبد الملك صاحب حبابة وسلامة كما مرّ. ورأى أباه وهو يستقدم الجواري والمغنين، وشاهد ما ذكره الرواة عن أبيه إذ غنّاه معبد المغني صوتا، فاستخفه الطرب حتى وثب، وقال لجواريه: افعلن كما أفعل، وجعل يدور في الدار، ويدُرن معه وهو يقول:[1]

يـــــادار دوّريـــــني يـــا قرقر امسكيـــــني

في هذا الجوّ اللاهي الثَّمِل شَبّ الوليد، ثم يقال أن أباه سلّمه إلى مؤدب يُسمّى عبد الصمد بن عبد الأعلى، وكان فيه مجون وزندقة فكان يغويه، وكان إغواؤه يصادف هوى في نفسه[2]، ولِمَ لا يصادف هوى في نفسه، وهو المقبل على مالم يقبل عليه والده من لهو وخمر وقيان؟! وبلغ من إسرافه في التهتك أنه صنع لنفسه بركة ملأها خمرًا، فكان يجلس على حافتها، والمغنون يغنونه، حتى إذا انتشى نزع ثيابه وقذف بنفسه فيها ينهل، ثم يخرج وهو كالميت سكرا[3].

ويروى أنه كتب إلى نصر بن سيار صاحب خراسان وقائد الجند فيها أن يبعث إليه ببرابط وطنابير، ولم يدع نصر بخراسان جارية ولا

١- *الأغاني* ٦٩/١ .

٢- *الأغاني* ٣/٧ .

٣- *الاغاني* ٥٢/١، ٣٠٧/٣ .

آلة من آلات الطرب إلا اشتراها[1].

من هذه الحياة اللاهية العابثة المستهترة وحدها يمكن أن نستنتج مذهبه ومعتقده، غير أن الوثائق تدل على أنه كان مجهرًا بالكفر والزندقة. يروى أنه دعا ذات ليلة بمصحف، فلما فتحه طالعته الآية الكريمة: ﴿واستفتحوا وخاب كل جبّار عنيد من ورائه جهنّم ويُسقى من ماء صديد﴾ فقال: أسجعًا سجعًا، علّقوه، ثم أخذ القوس والنبل، فرماه حتى مزّقه، ثم قال:[2]

أتوعد كلَّ جبار عنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا لاقيت ربك يوم حشر ... فقل لله مزقني الوليد

وإذا كان هناك شك في هذه الرواية، فليس ثمة شك في قوله:[3]

أدر الكأس يمينًا ... لا تدرها ليسار
إسق هذا ثم هذا ... صاحبَ العود النّضارِ
من كميت عتّقوها ... منذ دهر في جِرارِ
ختموها بالأفاويـ ... ـه وكافور وقارِ
فلقد أيقنت أني ... غير مبعوث لنارِ
سأروض الناس حتى ... يركبوا دين الحمارِ
وذروا من يطلب الجنـ ... ـة يسعى لتبارِ

١- *الطبري* ١٧٦٦/٢ .

٢- *الاغاني* ٤٩/٧ .

٣- *الاغاني* ٤٦/٧ ، *رسالة الغفران* / ١٤٥ .

الزهد[1]

دعا الإسلام إلى التحرر من أغلال المتطلبات المادية، لينطلق في ساحات الكمال والجهاد والعطاء. ولا يعني ذلك أن يعتزل المسلم عن الحياة، فتلك رهبانية نهى عنها، بل أن يكون مالكًا للدنيا لاعبدًا مملوكًا لها. وعمليّة التحرير هذه تبدأ من شدّ الإنسان بالله وبيوم الجزاء، وتذكيره بالموت والبعث وبالأهداف الكبرى في حياته.. وتتواصل عبر منهج الجهاد بالمال والنفس، وجهاد النوازع الشيطانية في داخل الإنسان وهو الجهاد الأكبر. والمسلم المتحرر من أغلال الدنيا هو «الزاهد».

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إمام الزاهدين، واقتدى به خيار الصحابة، وظلّ المصلحون على مرّ التاريخ يدعون إلى هذا الزهد، خاصّة حين تستفحل في المجتمع مظاهر الفساد، وتشيع روح الانغماس في الملذات الهابطة.

وفي العصر الأموي نهض بمهمة هذه الدعوة الأخيار والصالحون وعلى رأسهم أئمة آل البيت. كما انعكس تيار الزهد المقاوم لتيار الركون إلى الدنيا في الشعر، فهذا الكميت يرى أن كل ما أصيب به المسلمون من ذلّ وهوان على يد الحكام الأمويين إنما يعود إلى الركون إلى الدنيا، داعيًا بذلك إلى التحرر من ربقة هذه العبودية

١- انظر: *ديوان أبي الأسود الدؤلي*؛ واخبار سابق البربري في كتب تاريخ الأدب؛ وأحمد زكي صفوت، *عمر بن عبد العزيز*: عبد العزيز سيد الأهل، *الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز*.

فيقول:

رضـينا بـدنيا لا نريـد فراقهـا علـى أننـا فيهـا نمـوت ونُقتـل
ونحن بها مستمسـكون كأنها لنـا جُنـة ممـا نخـاف ومعقـل
أرانا على حبّ الحيـاة وطولها يُجدّ بنا فـي كل يوم ونهزل

ونجد شعر الزهد على شكل ابتهالات لله مثل قول ذي الرمة:[1]

يا ربِّ قد أشرقت نفسي وقد علمتْ علمًا يقينًا لقد أحصيتَ آثاري
يامخرج الروح من جسمي إذا احتضرتْ وفارجَ الكربِ زحزحني عن النار

ويظهر أن الخليفة عمر بن عبد العزيز شجّع هذا اللون من أدب الزهد، وكان يفد عليه الوعاظ من الشعراء وغيرهم، ومنهم سابق البربري، ونقلت لنا كتب التاريخ والأدب نماذج من شعر سابق كقوله:

فحتى متى تلهو بمنزل باطل كأنك فيه ثابت الأصل قاطِنُ
وتجمع مالا تأكل الدهرَ دائبًا كأنـك في الـدنيا لغيرك خازن

فليعلم العالم بأن جميع مشاكلنا تنبع من أمريكا..
جميع مشاكلنا تنبع من إسرائيل، إسرائيل هي الأخرى جزء من أمريكا، وهؤلاء النواب هم أيضًا من أمريكا وهؤلاء الوزراء أيضا كلهم عملاء وصنايع أمريكا

من نداء الإمام الخميني (رض)
إلى الشعب الإيراني من منفاه في تركيا

الوحدة الفلسطينية ...
فريضة شرعية وضرورة وطنية

يوسف جمعة سلامة *

• الاتحاد أساس كل خير وسعادة، وعماد الرُقي والسيادة فكم به عَمُرت بلاد، وسادت عباد • الواجب علينا أن نكون إخوة متحابين، وأن نتعاون على البر والتقوى • إن وحدة المسلمين وتضامنهم عمل يمثل قطب الرحى، ويمثل طوق النجاة لسفينة المسلمين • لنعمل معًا وسويًا على إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف إن شاء الله، وخروج جميع الأسرى والمعتقلين من سجون الاحتلال، وعودة اللاجئين الفلسطينيين إن شاء الله .

لقد غمرت الفرحة قلوب أبناء شعبنا الفلسطيني بعد توقيع اتفاق المصالحة، الذي توصلت إليه حركتا فتح وحماس ووقعتا عليه في القاهرة يوم الأربعاء الماضي،كما وقعت عليه كافة الفصائل الفلسطينية، بحضور كافة ألوان الطيف السياسي الفلسطيني ، بالإضافة إلى حضور عربي و إسلامي ودولي.

إننا نهنئ أبناء شعبنا الفلسطيني في كافة أماكن تواجده بهذه

*- خطيب المسجد الأقصى المبارك.

الخطوة الرائدة، الكفيلة بعودة المحبة والتآلف والوحدة إلى شعبنا الفلسطيني المرابط وأرضنا المباركة.

وبهذه المناسبة فإننا نشكر قيادتي الحركتين على جهودهما الخيّرة في الوصول إلى هذا الاتفاق، الذي سيؤدي إن شاء الله إلى إنهاء الانقسام وعودة البسمة إلى الشارع الفلسطيني، كما نشكر الشقيقة الكبرى مصر على دورها الكبير في الوصول إلى هذا الاتفاق المشرّف، ولا ننسى جميع المبادرات العربية والإسلامية الخيّرة التي عملت من أجل جمع الشمل ورص الصفوف وتوحيد الكلمة و إنهاء الانقسام وعودة اللحمة إلى شعبنا الفلسطيني.

والشكر موصول لأسرى الحرية الأبطال الذين لم يؤلوا جهدًا للوصول لهذا الاتفاق، فقد كانوا في المقدمة كما عودونا دائمًا، حيث كانوا السبّاقين لإنهاء الخلاف والانقسام بوثيقتهم المعروفة بوثيقة الوفاق الوطني، والتي كان لها دور كبير في توحيد الفصائل الوطنية والإسلامية.

كما نشكر شباب فلسطين الذي أوصى بهم الرسول(ص) خيرًا، لمبادراتهم وحراكهم الشعبي الضاغط على الفصائل لإنهاء الانقسام وعودة الوحدة والوئام.

إن وطننا الغالي فلسطين بحاجة إلى جهود كل الخيّرين من أبناء شعبنا ليساهموا في إعادة بنائه كما ساهموا في الدفاع عنه، كما أن الاتفاق سيكون إن شاء الله خطوة مباركة لإعادة إعمار

ما دمره الاحتلال الإسرائيلي خلال حربه الأخيرة على قطاع غزة، ولإعادة ترتيب البيت الفلسطيني الداخلي.

إن الشعب الفلسطيني المرابط يدعم هذا الاتفاق ويباركه ويتمنى له النجاح والتوفيق، فقوتنا في وحدتنا، و إن ضعفنا في فرقتنا وتخاذلنا،فشعبنا في أمس الحاجة إلى الوحدة والمحبة والتعاضد والتكافل ورص الصفوف وجمع الشمل وتوحيد الكلمة،خصوصًا في هذه الظروف المصيرية التي يمر بها شعبنا وقضيتنا، وما يتعرض له المسجد الأقصى المبارك في هذه الأيام من مؤامرات عديدة،تسبّبت في تقويض بنيانه وزعزعة أركانه، جراء الحفريات الإسرائيلية المستمرة للأنفاق أسفل منه، وكذلك محاولات السلطات الإسرائيلية إقامة ما يُسمّى بالهيكل المزعوم بدلاً منه، والتهويد المستمر لمدينة القدس، ومصادرة آلاف الدونمات لفصل المدينة المقدسة عن محيطها الفلسطيني من خلال بناء المستوطنات، لإحداث تغيير ديموغرافي لصالح السكان اليهود.

إن أسر الشهداء والجرحى والأسرى، وأهلنا الكرام داخل المدينة المقدسة، وأصحاب البيوت المدمرة في قطاع غزة، ومعهم كل الفلسطينيين داخل الوطن وخارجه، غمرتهم الفرحة والسعادة بسماع خبر انتصار دماء شهدائهم وجرحاهم ونداءات أسراهم، وذلك بتوقيع اتفاق المصالحة الفلسطيني ـ الفلسطيني في القاهرة، و إعادة الوحدة للصف الفلسطيني.

إننا إذ نهنئ شعبنا الفلسطيني بهذا الإنجاز التاريخي، لنناشد الجميع بضرورة العمل على تطبيق هذا الاتفاق، والالتزام بما جاء فيه، والعمل من أجل حمايته وتطويره، حتى نتمكن سويًا من إخراج شعبنا الفلسطيني من الظروف الصعبة التي يعيشها، ومن حالة الاحتقان الداخلي وما صاحبها من اقتتال، إلى جو الألفة والمحبة والأخوة.

آملين أن يترجم هذا الاتفاق على أرض الواقع، بنشر ثقافة المحبة والمودة والإخاء بين جميع أفراد شعبنا الفلسطيني،و إعادة الوحدة للنسيج الاجتماعي الذي تأثر بالسلب نتيجة هذا الانقسام البغيض، ليعود شعبنا كما كان دائمًا واحدًا موحدًا في السراء والضراء.

ما أحوج أبناء شعبنا إلى الترفع على الأحقاد، وطيّ صفحات الماضي المؤلمة، وأن نفتح جميعًا صفحة جديدة من الأخوة والمحبة والإخاء.

فالاتحاد أساس كل خير وسعادة، وعماد الرُقي والسيادة فكم به عَمُرت بلاد، وسادت عباد،وما نال قوم نصيبهم من رغد العيش والهناء، ولا فاز شعب من الشعوب بحظه الوافر من الراحة وسلم من العناء،إلا بالتآلف والتناصر، والتعاون والتضامن، وما حظيت أمة بما ترتجيه،إلا بجمع شملها وتوحيد صفوفها، وسعيها الدائب إلى ما يجلب لها الخير ويحقق لها الرخاء.

فديننا الإسلامي يرشدنا إلى أهمية الاتحاد واجتماع الكلمة،

ليرقى بذلك أن يكون أصلاً من أصول الدين، وأمرًا ربانيًا تضمّنه القرآن الكريم، وتأكيدًا نبويًا فيما لا يحصى من الأحاديث الصحيحة الصريحة. وتطبيقًا عمليًا لحياة الصحابة والتابعين.

فالواجب علينا أن نكون إخوة متحابين، وأن نتعاون على البر والتقوى، كما قال العلماء: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه»، وأن يساعد الغني الفقير، وأن يعطف القوي على الضعيف لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

لقد ذكر أستاذنا الشيخ / محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتابه *خلق المسلم*، أن المصلين اختلفوا في صلاة التراويح، هل هي ثماني ركعات أم عشرون ركعة؟ فقال بعضهم: بأنها ثماني ركعات، وقال آخرون: بأنها عشرون ركعة، وتعصب كل فريق لرأيه، وكادت أن تحدث فتنه، ثم اتفق الجميع على أن يستفتوا عالمًا في هذه القضية، فسألوه عن رأيه في الأمر، فنظر الشيخ بذكائه فعرف ما في نفوسهم، وهو أن كل طرف يريد كلمة منه، فقال الشيخ مستعينًا بفقهه: الرأي أن يُغلق المسجد بعد صلاة العشاء (الفريضة) فلا تصلى فيه تراويح البته، قالوا: ولماذا أيها الشيخ؟!.

قال: لأن صلاة التراويح نافلة (سنة) ووحدة المسلمين فريضة، فلا بارك الله في سنة هدمت فريضة، نعم فديننا الإسلامي يحثنا على الوحدة خصوصًا في هذه الأوقات العصبية من حياة شعبنا المرابط.

إن وحدة المسلمين وتضامنهم عمل يمثل قطب الرحى، ويمثل طوق النجاة لسفينة المسلمين، فالمسلمون لن ترتفع لهم راية ،ولن يستقيم لهم أمر،ما لم يكونوا متضامنين مجتمعين على كلمة واحدة، فقد جاء الرسول (ص) على أمة ممزقة مبعثرة فجمعها ووحّد كلمتها، ثم جمع العرب على اختلاف أوطانهم، وجعلهم أمة واحدة بعد أن كانت الحروب مستعرة بينهم، وصهرهم جميعًا في بوتقة الإسلام، وجمع بين أبي بكر القرشي الأبيض، وبلال الحبشي الأسود، وصهيب الرومي وسلمان الفارسي، جعلهم إخوة متحابين بعد أن كانوا أعداء متخاصمين ،كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، كما وأزال ما بين الأوس والخزرج من خلاف، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وأصبح المسلمون بفضل الله كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، وقد بيّن (عليه الصلاة والسلام) ذلك، بقوله: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم».

نسأل الله العلي القدير أن يكون هذا الاتفاق فاتحة خير على شعبنا الفلسطيني في كافة أماكن تواجده، وأن تنقشع الغمة التي

خيمت على بلادنا الحبيبة في الأيام الماضية، وأن يسود الحب والوئام والأخوة بين جميع أبناء شعبنا الفلسطيني المرابط، ليتسنى لنا جميعًا التصدي للهجمة الإجرامية على مدينة القدس والمسجد الأقصى المبارك،قبلة المسلمين الأولى ومسرى نبيهم محمد(ص)، ولنعمل معًا وسويًا على إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف إن شاء الله، وخروج جميع الأسرى والمعتقلين من سجون الاحتلال، وعودة اللاجئين الفلسطينيين إن شاء الله.. اللهم آمين يا رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

إن آخر جمعة من شهر رمضان المبارك تعد يومًا للقدس.. فيجب على المسلمين أن يحيوه.. إن يوم القدس يوم عالمي.. لا يختص بالقدس، بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين.. إنه يوم مواجهة الشعوب المستضعفة لتعلن عن وجودها أمام المستكبرين.. إنه يوم مواجهة الشعوب المستضعفة لتعلن عن وجودها أمام المستكبرين.. إن يوم القدس، هو يوم الإسلام، ويوم إحياء الإسلام وتطبيق قوانينه في البلاد الإسلامية.

الإمام الخميني (رض)

فلسطين في خطاب الإمام الخميني

عدنان حسين أبو ناصر *

• أية قوة روحية كان الإمام يختزنها بحيث أتاحت له قيادة المسيرة السياسية الإسلامية!! • إن صعوبة المهمة الاستقرائية لحياة الإمام (رض) ودوره السياسي وآثاره السياسية لا تعني إلا أن نتعامل مع ملف الإمام كملف مفتوح للدرس والبحث والتأمل • بعد انتصار الثورة الإسلامية أخذت هذه القضية موقعها في يوم القدس العالمي • إن قضية فلسطين تحتل موقعًا متقدمًا في مبادئ الإمام واهتماماته • قضية فلسطين العربية المسلمة.. قضية الإسلام المركزية، ظلت وعلى مدى السنين الطويلة في سلّم أولوياته • لم يتراجع الإمام.. وأصر وبكل قواه على موقفه تجاه إسرائيل والشاه في آن واحد • لقد رفض الإمام النظرة الجزئية للقضية الفلسطينية.. وذلك برفض الحلول الجزئية التي تنتقص من الحقوق التاريخية المشروعة للشعب الفلسطيني • مع اشتعال الثورة الإسلامية.. وانتصارها في شباط ١٩٧٩ كان الحماس الإسلامي يصل ذروته في كل العواصم الإسلامية.

*- كاتب فلسطيني.

فلسطين جزء من جسد الأمة الإسلامية في خطاب الإمام الراحل، ولذلك يتحمّل كل المسلمين مسؤولية الدفاع عن هذه القضية المصيرية، والصهيونية العالمية تستهدف من احتلال فلسطين السيطرة على مقدرات العالم الإسلامي و إذلاله، لذلك فإن تحرير فلسطين هو التخلص من مخطط إرهابي كبير، وكل ما فعله الإمام في حياته تجاه هذه القضية إنما كان تأسيسًا لمشروع نهضة جديدة لمواجهة الخطر الكبير.

إن الحديث عن الإمام الخميني (رضوان الله عليه) يعني الحديث عن بانٍ من بُناة التاريخ الذين لا يموتون، إنهم يبقون فيه، يستوطنونه ويستمرون باستمراره يمارسون تأثيرهم بعد الموت، وأحيانًا أخطر مما مارسوه خلال أعمالهم ونضالاتهم ونجاحهم في تغيير مساره ليقترب من أحلامهم وتمنياتهم ورؤاهم الخاصة للمستقبل. و إن هذا الحديث صعب ومتشعب لأنه يحتاج أولاً إلى وعي مرحلة الإمام بتفاصيلها بحوادثها وبرموزها وأنظمتها السياسية.

وواقع العالم الإسلامي خلال هذه الفترة الزمنية، هو واقع انهياري أكثر منه واقعًا للصحوة والوعي، والعمل الإسلامي، وهو دافع تراجعي أكثر منه واقعًا للبناء وبعث الأمل.. وهو واقع يسير باتجاه تفكيك العالم الإسلامي ونهبه وتمزيقه وتكالب القوى الدولية المستغلة له أكثر من كونه واقعًا ينسجم فعلاً مع شعاراته الشكلية المرفوعة والمنادية بالعدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان والرفاهية الاقتصادية وأخيرًا فهو واقع بائس من الداخل والخارج. ولكن أمام

هذا الواقع فإن أسئلة كثيرة تبدأ أولاً ولا تنتهي واستفهامات تتوالى بلا انقطاع:

كيف يقاوم **مثل هذا الواقع؟**

وأية قوة قادرة على الخوض في غماره؟ وإلى أي مدى يمكن أن يستمر هذا الواقع؟

وما الطرق والوسائل التي يمكن اتباعها للتخلص من هذا الواقع؟

ونتساءل ونقول: أية قوة روحية كان الإمام يختزنها بحيث أتاحت له قيادة المسيرة السياسية الإسلامية ضد التيار، وأعطته الثقة الكبيرة في بدء رحلة تأسيس الوعي الثوري؟ أية مبادرة خلقت داخل الإمام ذلك العناد الثوري الهائل للوقوف في وجه العالم، كل العالم الذي استسلم أمام عمليات إبعاد الاسلام السياسي عن مسرح الحياة؟

من هنا يبدأ الذهول، ومن هنا تبدأ الحيرة في استيعاب الإمام الخميني(رض) كقائد ومفكر ورمز ومؤسس وصاحب مدرسة ثورية، ومنهج ثوري، وهذا الذهول هو ذهول بكل معنى الكلمة، إنه ذهول الوصف وحيرة الاستيعاب. وصعوبة التصور، ليس لدى الإنسان العادي بل لدى الإنسان الواعي والحركي، والقائد الثوري، فليس من المبالغة القول: إن: سبعين أو ثمانين سنة من المسيرة الثورية للإمام (رض) لم تكشف عما قام به، ولم تكشف عن كل ما أسسه وعلينا إذن قراءة هذه المرحلة على ضوء رؤى هذا القائد وأفكاره، لا بل علينا قراءة الأفق المستقبلي على ضوء فعل الإمام

ودوره وكذلك استشراف الإمام السياسي ذاته لمرحلتنا هذه ولمراحل قادمة لم تأت بعد.

وها هو آية الله السيد علي الخامنئي يتحدث عن الإمام ويقول: «لقد قيل الكثير حول إمامنا العزيز، لكنني أعتقد أنه من المبكر الآن أن نعرف نحن ويعرف المحللون العالميون إمامنا الجليل الفذ بشكل دقيق وكامل، فهو شخصية عظيمة يندر وجود مثيل لها بعد الأنبياء والأولياء كثيرًا، إذ تظهر مثل هذه الشخصيات في مراحل معينة من التاريخ فتقوم بإنجاز أعمال كبرى ومنجزات ضخمة، وتضيء في السماء كالبرق فيمتد نورها إلى كل مكان في الفضاء ثم تمضي، لقد قام إمامنا الجليل الفذ بأعمال كبرى تتناسب ضخامتها مع عظمة الإمام نفسه».

هكذا إذن يصف السيد القائد الخامنئي الإمام بالقول إنه من المبكر معرفة الإمام له وللمحللين العالميين، إن هذا الكلام في وصف الإمام (رض) عندما ينطلق من أي إنسان، فهو ليس كما يقال على لسان السيد الخامنئي ليس لأنه رجل الثورة الإسلامية الثاني بعد الإمام، ولا لأنه أكثر الثوريين استيعابًا لمنهج الإمام الخميني الثوري فحسب بل لأنه أيضًا رفيق الإمام (رض) في مسيرته الثورية قبل الانتصار وبعده، وكلمة السر التي كان يقولها الإمام في كل موقع ثوري ولجنة ثورية قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران وبعده، ولأنه الرجل الذي رشحته إيران برمتها ليحتل الموقع الأول في الدولة بعد رحيل الإمام (رضوان الله عليه) نقول: إذا كان آية الله الخامنئي يقول: إن معرفة الإمام هي أمر مبكر فكيف الحال لأي

إنسان أو محلل أو كاتب أو دارس يحاول أن يسلط الضوء على هذا العملاق الراحل والتارك وراءه عالمًا أسيرًا لما أسسه ووضعه من قوانين جديدة للصراع الدولي، ما زالت بعد لم تتمخض عن نتائج في الوقت الحاضر، خاصة وأن صراع القوى المفتوح مايزال يعبر عن نفسه يوميًا بدون انقطاع وبشكل تصاعدي في شتى أرجاء العالم الإسلامي؛ فضلاً عن محاوره التقليدية مع الجمهورية الإسلامية في إيران.

وبالتأكيد إن صعوبة المهمة الاستقرائية لحياة الإمام (رض) ودوره السياسي وآثاره السياسية لا تعني إلا أن نتعامل مع ملف الإمام كملف مفتوح للدرس والبحث والتأمل، فهو رجل لعدد كبير من المراحل السياسية الماضية والقادمة. ولعل هذا ما كان يعنيه بالضبط السيد القائد الخامنئي من خلال قوله المذكور: إن معرفة الإمام معرفة دقيقة مازالت مبكرة، فالسيد الخامنئي أيضًا يستشرف الأفق السياسي ويقرأ استشرافات الإمام (رض) السياسية ويرى أيضًا أنه بالفعل رجل القرن الحادي والعشرين. في الدراسة القادمة سنحاول تسليط الضوء بشكل مكثف على موقع فلسطين والقضية الفلسطينية في خطاب الإمام الخميني(رض).

منذ البداية أدرك خطورة العلاقة المشبوهة بين نظام الشاه المخلوع والكيان الصهيوني، وحذر من استمرار هذه العلاقة وزُجّ في السجن وأبعد عن البلد نتيجة موقفه من هذه العلاقة. أدرك أهمية بيت المقدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين والأبعاد الدينية لهذه الأهمية بدءًا من الإسراء والمعراج إلى

الأقصى الشريف وقبة الصخرة.. وأطلق يوم القدس العالمي يومًا لكل المسلمين، عرف أهمية فلسطين والقضية الفلسطينية ودعا إلى الوقوف إلى جانب الفلسطينيين المستضعفين وضرورة مواجهة الغدة السرطانية إسرائيل واستئصالها من المنطقة.

أخذت القضية الفلسطينية موقعها في الخطاب الخميني من خلال أشكال متعددة لمعالجتها والتعامل معها، فالإمام (رض) أولاها اهتمامًا خاصًا عبر احتضانه منذ وقت مبكر لشكلها الثوري الجهادي في العقدين السادس والسابع من العمل الفلسطيني المقاوم في القرن العشرين، **أما بعد الانتصار فلقد أخذت هذه القضية موقعها في يوم القدس العالمي الذي أطلقه الإمام يومًا لكل المسلمين للوقوف إلى جانب فلسطين وقضيتها.**

نلاحظ موقع الاحتضان الخميني للثورة الفلسطينية منذ انطلاق فصائل المقاومة الفلسطينية المعاصرة، فمنذ ذلك الحين كان الإمام يحرص على دعم هذا العمل الجهادي المقاوم بكل الإمكانات المتاحة من جهة، ويحثّ في الوقت نفسه القوى التحررية والدول الإسلامية على احتضان هذا العمل، وعدم تركه وحيدًا أمام العدو الصهيوني ليستفرد به من خلال آلته الإرهابية البشعة، ويمكن القول قبل الحديث عن بعض أشكال الاحتضان والحث عليه إن الإمام (رض) كقائد إسلامي انفرد بأساليب داعمة خاصة للثوار الفلسطينيين عن غيره ممن واكبوا القضية الفلسطينية من القيادات. قليلون هم الذين عملوا لقضية فلسطين، وتحدثوا عنها دون لف وتزوير. الثورة الإسلامية، وضعت هذه المسألة في رأس

اهتماماتها الإسلامية باعتبارها المسألة التي تجسد هدف الطامعين في عالمنا الإسلامي وما يمارسونه من جرأة على انتهاك المقدسات واللعب بالمقدرات والاستهانة بالأمة، كما أنها تجسد من جانب آخر مأساة المسلمين بذلّهم وهوانهم وسيطرة العملاء على شؤونهم وتقاعسهم. لا مجال للحديث عن أشكال الدعم وعن المواقف العملية والإعلامية التي اتخذتها الثورة الإسلامية تجاه القضية، بل نكتفي بعرض بعض أقوال الإمام بهذا الشأن:

ذات مرة قال الإمام الخميني (رض):

«إننا نقف مع المظلومين، نحن مع كل مظلوم في أي بقعة من بقاع العالم، ونظرًا لأن الفلسطينيين قد ظلموا من قِبل إسرائيل، فإننا نقف معهم نساندهم.. إننا سوف نهزم إسرائيل».

من هذا القول يتبين لنا أن قضية فلسطين تحتل موقعًا متقدمًا في مبادئ الإمام واهتماماته.. وتبشرنا من ثمّ بأمل واعد ما زلنا نعيش لنحياه يومًا.. وكلنا ثقة بأن الأمل سيصير ذات يوم حقيقة لا تعرف التبديل، لأن من يساندنا ويبشرنا بالعودة وبيوم الخلاص.. سيطرد من بلادنا الإسرائيليين وبعزيمة أهلنا وكل المحبين لخير الإنسان.. سيطرد الصهاينة الذين مازالوا يشرّدون ويقتلون أطفالنا ويطمعون بالتوسع في أرضنا وفي كل الأصقاع.

منذ مطلع ستينات القرن العشرين، بدأ الإمام يخوض كفاحه الطويل ضد الإمبريالية والصهيونية في داخل حدود إيران المسلمة وخارجها.

وقضية فلسطين العربية المسلمة.. قضية الإسلام المركزية،

ظلت وعلى مدى السنين الطويلة في سلّم أولوياته.

ويتبين لنا هذا الكفاح من خلال الكلمات والخطب واللقاءات التي كان يجريها الإمام في مختلف الأماكن والأوقات. ففي عام ١٩٦٢م وتحديدًا في مطلع العام قال الإمام في خطاب له مع جمعيات الأقاليم والمدن: **«لن يمر وقت لهذا السكون القاتل الذي يلف المسلمين إلا ويكون الصهاينة قد سيطروا على كامل اقتصاد هذا البلد، بعد أن يضمنوا دعم عملائهم لهم، ومن ثم جر الشعب المسلم، بكل شؤونه نحو السقوط»**.

من هذا النص نرى كيف أن الإمام كان ينظر إلى ذلك الكيان نظرة الشك والريبة إلى وجوده في قلب المنطقة الإسلامية، وأن وجوده ليس من أجل حق تاريخي يريد الحصول عليه في أرض فلسطين.. بل هووجود تبعي للحفاظ على مصالح أسياده الذين أسسوه ودعموا كيانه.

إن إدراك الإمام لخطر ذلك الكيان ليس وليد المصادفة أو المناسبة الخاصة، بل هو إدراك ناتج عن فهم طبيعة الصراع الذي تعيشه الأمة وما تزال في كل مناطق وجودها في مواجهة القوى الاستكبارية الظالمة وعلى رأسها الدول الداعمة لوجود إسرائيل. و إن وظيفة ذلك الكيان هي التغلغل الخبيث في مناطقنا وبلادنا، من خلال الأنظمة الرجعية والعميلة المرتبطة بعجلة الاستعمار لمراقبة حركة الشعوب وسيرها، حتى لا تقوم بالانتفاضات والثورات لامتلاك زمام أمورها، ولتبقى مقدرات الأمة كلها مرهونة لمصالح القوى الاستعمارية من أجل أن تستمر علميات النهب الاستعماري من

خلال الإرهاب الذي تمارسه في مختلف أصقاع الأرض.. إن الإمام من خلال رؤيته هذه يحدد وبشكل واضح الدول التي ساندت الكيان الصهيوني وأسهمت في تأسيسه، ويحدد أيضًا وظيفة هذا الكيان التي تتلخص في المحافظة على مصالح دول الاستكبار العالمي في منطقتنا.

وفي عام ١٩٦٣م وقف الإمام يندد بالأعمال الشيطانية لإسرائيل، ويربطها بأسلوب ذكي محنّك بأعمال الشاه حاكم إيران آنذاك، وما إن بدت أقواله حتى أثارت هذه الأقوال بمختلفها غضب الشاه حاكم إيران.. مما دفعه إلى أن يرسل تحذيراته إلى الإمام وتلامذته طالبًا عدم الربط بينه وبين إسرائيل، ومحذرًا من الهجوم على إسرائيل.. وكان الإمام أصرّ على موقفه هذا ولم يتراجع أبدًا.. وفي إحدى المدارس في مدينة قم.. في المدرسة «الفيضية» التي تعدّ إحدى المدارس التاريخية الكبرى في إيران لتحصيل العلوم الإسلامية في هذه القلعة وقف يقول: «اليوم أطلعوني بأنهم اعتقلوا بعض الخطباء وقادوهم إلى مراكز الأمن وقالوا لهم: ثلاثة أمور لا دخل لكم بها وما شئتم تحدثوا، لا دخل لكم بالشاه ولا تتحدثوا عنه، لا دخل لكم بإسرائيل، ولا تقولوا إن الدين في خطر، ونحن إذا وضعنا هذه المسائل الثلاث المهمة جانبًا فبأي شيء نتحدث مع الناس؟ إن مآسينا إنما هي مرتبطة بهذه الأمور الثلاثة».

ثم يقول: «إن عملاء إسرائيل يقومون بأعمال تخريبية في إيران، والله أعلم بما يسرون من خطط أخرى، فعندما نتطرّق لهذا الأمر،

يقولون لا تتحدثوا عن الشاه و إسرائيل! أترى العلاقة بين الشاه و إسرائيل، هل الشاه إسرائيلي؟»

وجاء في نداء الإمام إلى الوعّاظ والخطباء الدينيين:

«إن النظام الحاكم المتجبر ـ النظام الشاهنشاهي ـ يتعاضد بكل قواه مع إسرائيل وعملائها، حيث سلّمها الوسائل الإعلامية والدعائية في هذا البلد، وترك لها مطلق الحرية بالتصرف بها، وقد فسح المجال التام لها في النفوذ إلى الجيش والمؤسسات الثقافية وسائر الوزارات الأخرى، وأعطيت لها المناصب الحساسة في الدولة. عليكم أن تذكّروا الشعب دومًا بأخطار إسرائيل وعملائها في إيران، إن الركون إلى الصمت في هذه الأيام يعد تأييدًا للنظام المتجبر لأعداء الاسلام واحذروا عواقب الأمور».

إن الإمام يبين من خلال ما تقدم طبيعة العلاقة المشبوهة بين نظام الشاه المخلوع والكيان الصهيوني، و إلى أية درجة من التنسيق والتعاون وصلت هذه العلاقة الخبيثة التي أصبحت تشكل خطرًا حقيقيًا على الشعب المسلم في إيران وعلى مختلف شعوب الأمة الإسلامية، حيث إن الشاه يحرم الحديث عن الشاه نفسه وعن إسرائيل بالذات.

وتعليقًا على اعتراف الشاه بإسرائيل وتحالفه معها يقول الإمام (رض) مخاطبًا الشاه: «أما أنتم ودولة تركيا التي اعترفت مبكرًا بإسرائيل فقد وقفتم صفًا واحدًا إلى جانب إسرائيل». إن الإمام من خلال هذاا لنص يحذر الشاه الذي أصبح مع إسرائيل وتركيا في خندق واحد في معاداة الشعوب الإسلامية الأخرى. إنه

يبين أن ذلك يعود بأفدح الأضرار على الشعب المسلم في إيران ويسيء إلى سمعة هذا الشعب الطيب.. هذا الشعب الذي يقف بكل مشاعره مع إخوانه من الشعوب الإسلامية الأخرى.. إنه يرفض التحالف مع إسرائيل.. إن الإمام في ذلك يقول إن حلفاء إسرائيل ليسوا من شعبنا المسلم.. ويقول إن ديننا يلزمنا بمعارضة أعداء الإسلام ومخالفتهم، وقرآننا يقضي بأن نعادي كل من يعادي المسلمين.

هذه هي سياسة الإمام وهذا هو منطقه.. وفي هذه الأثناء لم يتراجع الإمام.. وأصر وبكل قواه على موقفه تجاه إسرائيل والشاه في آن واحد.. مما أفقد الشاه أعصابه فارتكب مجزرة في المدرسة الفيضية في قم حيث أرسل رجاله المسلحين إلى المدرسة وفتحوا رشاشاتهم على العلماء والجماهير المشاركة في مجلس عزاء الإمام الصادق(ع). ولكن هذا لم يثن الإمام عن مواصلة جهاده فأصدر بيانًا ردًا على المذبحة جاء فيه:

«يظن حكام إيران الخونة أنهم يستطيعون بهذه الأعمال اللاانسانية وممارسة أساليب الضغط إيقاف مسيرتنا نحو تحقيق أهدافنا والتي هي إبادة الظلم والديكتاتورية والأعمال اللاقانونية وصيانة الدين الإسلامي والمحافظة على حقوق المسلمين، و إقامة العدل الاجتماعي..».

كما طلب في بيان آخر لاحق من علماء المسلمين والأساتذة والطلاب وسائر الفئات الواعية أن يعبئوا جميعًا طاقاتهم لخوض الكفاح ضد عملاء الاستعمار والصهيونية في جميع أنحاء إيران،

واستنكار علاقات الشاه مع إسرائيل، كما دعا في البيان نفسه إلى دعم الشعب الفلسطيني ومساعدته.

إن هذه الروح الثورية التي أطلقها الإمام الخميني في تفجير الوعي الشعبي الإيراني تجاه الخطر الصهيوني ساهمت بشكل كبير في تعبئة الجماهير للوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني وقضيته ومعاداة الصهيونية وكيانها في فلسطين.

وبدأت لافتات وهتافات الجماهير الإيرانية الغاضبة تحمل شعارات معادية للصهيونية ومنددة بالشاه الذي أصبح بالنسبة لها «عميل إسرائيل وأمريكا». ولم يجد الشاه أمام هذه التطورات إلا اعتقال الإمام، الذي ما إن سمعت الجماهير بخبر اعتقاله حتى خرجت كتلاً بشرية هادرة تهتف «الموت دونك يا خميني».. لكن الشاه الذي أعماه غروره أمر الجيش بالتصدي للجماهير فكانت مأساة (١٥ خرداد) التي استشهد فيها خمسة عشر ألفًا من مسلمي إيران.

ولقد عمّت موجة الغضب العالم الإسلامي احتجاجًا على ما فعله الشاه من اعتقال الإمام و إقدامه على مذبحة خرداد، وقد وجه الشيخ شلتوت شيخ الأزهر آنذاك نداءًا دعا فيه مسلمي العالم للتضامن مع مسلمي ومجاهدي إيران. وذلك في ١٩٦٣/٦/١٠م وقد جاء في هذا النداء: «... في هذه الفترة تتعالى صيحات وتتكرر في وضح النهار اعتداءات.. ضحاياها علماء الإسلام في إيران والمبشرون في دعوة الله والقائمون على أمر دينه، وليس عليهم من مآخذ إلا أنهم يعلنون كلمة الله»، «.. وعلماء الإسلام في إيران قد تكرر

الاعتداء عليهم ، ونالت السجون منهم،وحيل بينهم وبين الأمر بالمعروف الذي يطلبه الإسلام من كل قادر عليه، والنهي عن المنكر من كل مستطيع له..»، «.. وفي تاريخ إيران نفسها خير شاهد ما لعلمائها من فضل يؤثر، وجهد يشكر وفدائية في سبيل الله والوطن لا تُنسى ولا تُجحد»، «ألا فلينتبه المسلمون في كل الأقطار والشعب المسلم في إيران إلى هذا الاعتداء الصارخ، وليعملوا على إنقاذ علماء إيران من طغاة إيران»، ثم ينهي شيخ الأزهر نداءه إلى المسلمين قائلاً: «فاشهد اللهم أنّ اعتداءًا على حملة رسالتك قد وقع، إن رفع الأذى عن أوليائك فرض في رقاب المؤمنين بك، وأنت نعم المولى ونعم النصير».

أمام هذا الضغط تم الإفراج عن الإمام الخميني، ليُعلن في خطابه التاريخي الذي ألقاه بعد أيام من إطلاق سراحه يقول: «إننا نخالف بشدة، هذه المظاهر الاستعمارية، ونخالف هذا الفساد ونقول إن إسرائيل هي التي تضع برامجكم الإصلاحية، وعندما تريدون وضع أي برنامج للبلاد، فإنكم تمدون يد الذل صوب إسرائيل. إنكم تأتون بالخبراء العسكريين من إسرائيل إلى هذا البلد (إيران)، وتبعثون بالمقابل من هنا (إيران) إلى اسرائيل الطلبة، إننا نقول بعدم صلاح هذا العمل أيها السيد.. يا شعوب العالم اعلموا أن شعبنا ضد مشروع التحالف مع إسرائيل. إن الذي نفّذ ذلك ليس شعبنا ولا علماء الدين، إن ديننا يدعونا إلى عدم التوافق مع أعداء الإسلام، وقرآننا يدعو إلى عدم التحالف مع أعداء الإسلام والوقوف ضد جموع المسلمين، إنكم (مخاطبًا الحكومة) تحالفتم مع

اسرائيل، ووقفتم خلافًا لأحكام الإسلام في مواجهة المسلمين، إننا نقول كلامنا هذا.. ونتساءل، أيّ منّا رجعي؟ إننا في أقصى درجات المدنية، وكذلك الإسلام في أعلى درجات الحضارة والرقي!!)» في عام ١٩٦٤م.

لم تتوقف صيحة الحق عند الإمام وظل مصرًا على موقفه داعيًا له محرضًا العلماء والجماهير المسلمة لمتابعة المسيرة.. فهاهو بمناسبة الذكرى السنوية لانتفاضة الخامس عشر من خرداد (٥ حزيران ١٩٦٤م) يقول:

«إن علماء المسلمين مكلفون بالدفاع عن أحكام الإسلام الأساسية، وعليهم أن يعلنوا عن رفضهم وغضبهم من إبرام التحالفات مع أعداء الإسلام واستغلال خيرات البلاد الإسلامية ليعلنوا براءتهم من إسرائيل وعملائها، أعداء القرآن المجيد والإسلام والوطن.. على أية حال، إننا مستعدون، و إن برامجنا التي تعد تجسيدًا للبرامج الإسلامية تشمل الدعوة إلى وحدة كلمة المسلمين، واتحاد الأقطار الإسلامية، والأخوة مع جميع طوائف وفرق المسلمين في شتى بقاع الأرض، والتحالف المبدئي مع جميع الأقطار الإسلامية في أرجاء العالم، والوقوف معها في مواجهة الصهيونية و إسرائيل وكل الدول الاستعمارية».

ثم في حديث له بتاريخ ١٩٦٤/٤/١٠م يقول:

«إن إسرائيل في حالة حرب مع البلدان الإسلامية، والحكومة الإيرانية تتعامل معها بكل الود والمحبة، وتضع تحت تصرفها جميع القنوات الدعائية والإعلامية، وتوفر لها التسهيلات اللازمة لإدخالها

بضاعتها إلى إيران.

إن الشعب الإيراني يرفض بشدة تلك المساومات الرخيصة التي تنجز مع إسرائيل الخبيثة، والشعب الإيراني بريء من هذه الذنوب الكبيرة، إن من يقوم بذلك هي الحكومة التي لا يقبلها الشعب مطلقًا»..

بعد ذلك جاءت أيام المنفى إلى تركيا، ولكنها لم توقف الصيحة أبدًا.. وظلت قوية بحبة الجماهير، بعد أيام من بيانه التاريخي السابق الذي أعلن فيه: «فليعلم العالم بأن جميع مشاكلنا تنبع من أمريكا.. جميع مشاكلنا تنبع من إسرائيل، إسرائيل هي الأخرى جزء من أمريكا، وهؤلاء النواب هم أيضًا من أمريكا وهؤلاء الوزراء أيضا كلهم عملاء وصنايع أمريكا».

نعم هذه هي المشكلة.. التي نظر إليها الإمام منذ البداية نظرة استراتيجية محددًا فيها ثالوث المشروع الاستعماري في المنطقة: أمريكا – إسرائيل – العملاء في الوطن الإسلامي.. إن هذه النظرة الاستراتيجية الشاملة الطبيعية لمعسكر الأعداء وللشعب والأمة هي.. هي مازالت قائمة وكأني به موجود بيننا الآن..

لقد رفض الإمام النظرة الجزئية للقضية الفلسطينية.. وذلك برفض الحلول الجزئية التي تنتقص من الحقوق التاريخية المشروعة للشعب الفلسطيني.

فها هو في عام ١٩٦٤م يصدر بيانًا تعليقًا على مشروع تحويل نهر

الأردن الذي ناقشه الحكام العرب في مؤتمر القمة يقول الإمام (رض) في هذا البيان:

«.. إنني أسأل المسلمين قائلاً: لماذا تنازعون إسرائيل على نهر الأردن؟ إن فلسطين كلها مغتصبة، فاعملوا على إخراج الصهاينة منها أيها المتشاغلون بأنفسكم، كيف تتركون فلسطين محتلة وتذهبون للنزاع حول مياه النهر؟، إنكم عندما تختلفون معها على ذلك فإنكم اعترفتم بوجودها كحاكمة على فلسطين بل كدولة لها الحق في فلسطين»!!

إنه لا يريد أن يتعامل مع إسرائيل كواقع مفروض وموجود.. بل إنه يبين من خلال خطابه هذا أن إسرائيل مغتصبة وطارئة ويجب العمل على إزالتها واجتثاثها وليس التعامل مع إفرازاتها هذا التعامل الذي يُرَى فيه إقرار واعتراف بها.. إنه يدعو إلى التفجير الشامل الذي يقتلع هذه الغدة السرطانية و إلى الأبد..

وعندما أُحرق المسجد الأقصى من قبل أعداء الإسلام هذا الحريق الذي أصاب المنبر والجزء الجنوبي من المسجد.. سئل الإمام(رض) عن إعمار المسجد فقال:

«لا ينبغي إعادة إعمار المسجد الأقصى ما دامت إسرائيل محتلة لفلسطين، كي تبقى جنايات وجرائم إسرائيل حية وظاهرة للمسلمين، مما يبعثهم على التحرك والعمل على استعادة الأراضي والمقدسات الإسلامية..» وقال: «لقد أحرقوا المسجد الأقصى ونحن نصرخ: دعوا آثار الجريمة باقية، في حين يوظف نظام الشاه حسابًا

في البنوك، لإعادة بناء المسجد الأقصى وترميمه، وعن هذا الطريق يملأ جيوبه وخزائنه ويزيد من أرصدته، وبعد ترميم المسجد الأقصى يكون قد غطى وستر آثار الجريمة الصهيونية..».

هكذا يريد الإمام (رض) أن تبقى الجرائم التي ترتكبها إسرائيل شاهدًا على عدوانها وهمجيتها التي لم يسلم منها شيء حتى أماكن العبادة لدى المسلمين أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، يجب أن تبقى هذه الجريمة محرضًا لكل المسلمين لكي يتحدوا من أجل مواجهة أعداء الإسلام..

إنه لا يريد من نظام الشاه العميل وكل الأنظمة العميلة التي تسارع دائمًا للتغطية على جرائم إسرائيل في فلسطين أن تعمل وبسرعة على إزالة آثار الجريمة التي تخدم أولاً إسرائيل.. وهكذا يستمر الإمام الخميني من منفاه كما كان في إيران مدافعًا عن الإسلام وعن فلسطين العربية المسلمة فاضحًا إسرائيل وممارساتها اللاإنسانية.

بين عامي ١٩٦٧. ١٩٦٨:

وعندما حلّت نكسة حزيران عام ١٩٦٧ بكل ويلاتها وأوجاعها.. هذه النكسة التي بينت عجز الأنظمة العربية عن مواجهة إسرائيل وتحطيم أهدافها في التوسع بالأرض العربية، حيث قامت دولة العدو في هذه الحرب باحتلال الأجزاء التي لم تغتصبها عام ١٩٤٨م من فلسطين وأجزاء أخرى من الأراضي العربية في هذه

الأثناء لم يعد أمام شعب فلسطين إلا الكفاح المسلح الذي انطلق وتصاعد ليكون ردًا عمليًا على هزيمة ١٩٦٧م.. في هذه الأثناء وكما في غيرها كان الإمام (رض) حاضرًا وهاهي صيحاته تأتي مؤيدة.. ثائرة تحثّ أبناء الشعوب الإسلامية على تزويد أبطال البندقية الفلسطينية بكل أنواع الدعم المادي والمعنوي، ليتمكنوا من القيام بالواجب العظيم الملقى عليهم، بل وصل الحد إلى إصدار فتاويه المشهورة بجواز صرف قسم من الحقوق الشرعية إلى أبناء فلسطين الذي يقاتلون الكيان الغاصب.

وفي جوابه على مجموعة من مسلمي فلسطين حول وجوب تقديم الدعم والإسناد الكافي إلى مسلمي فلسطين يقول: «لقد قلت سابقًا وأقوله الآن، إن الكيان الإسرائيلي الغاصب، يشكل خطرًا عظيمًا أخشى أن تفوت الفرصة علينا، فيما لو سمح له المسلمون في التوسع، وعندها لا يمكننا الوقوف أمام توسعه، ونظرًا لأن احتمال الخطر يهدد أساس الإسلام فلابد لجميع المسلمين بشكل عام والدول الإسلامية بشكل خاص، أن يبذلوا كل جهدهم من أجل استئصال غدة الفساد هذه من المنطقة، وأن لا يتوانوا في تقديم المعونات إلى المدافعين عن فلسطين، وليبذلوا ما في وسعهم لدعم هذا الأمر الحيوي، فضلاً عن صرف حقوق الزكاة وباقي الحقوق المالية في هذا المجال. أدعو الله سبحانه وتعالى أن يعين المسلمين، ويمنّ عليهم بدوام اليقظة والحذر، وأن ينقذ بلاد المسلمين من شرّ أعداء الإسلام».

من خلال هذه الرؤية يحدد الإمام وبشكل دقيق أن الخطر الذي تشكله إسرائيل يستهدف الإسلام لذلك فإنه يدعو المسلمين كافة للدفاع عن فلسطين فهو يرى أن الصراع بين الإسلام والكيان الغاصب هو صراع بين قوى الشر وقوى الظلم من جهة والمسلمين من أجل مواجهة بؤرة الفساد الخبيثة في منطقتنا.. يرى أن فلسطين هي قضية تخص المسلمين.. ولا يقف (رضوان الله عليه) عند حد بذل الجهد فقط ولكنه أيضًا يطالب بصرف الحقوق المالية من أجل مساندة الشعب الفلسطيني لمواجهة أعدائه الذين يعدّهم أعداء للإسلام والمسلمين كافة.

بين عامي ١٩٧١. ١٩٧٢م

يكرر الإمام فتواه مرة أخرى بوجوب صرف قسم من الحقوق الشرعية من الزكاة وحق الإمام، بما فيه الكفاية، للمجاهدين في سبيل الله، المرابطين في خطوط الشرف والمجد للقضاء على الصهيونية اللاإنسانية.

وفي بيان الإمام (رض) حول مساندة الشعب الفلسطيني بتاريخ ٣ رمضان ١٣٩٢هـ الموافق للعام ١٩٧٢م يقول:

«إن الطريق الوحيد لإرجاع العظمة والجلال والعز للاسلام والمسلمين هو إحساس المسلمين الجدي، بمسؤولية الحراسة والذود عن الإسلام والحفاظ على الوحدة.. لابد أن يعلم الجميع أن أهداف الدول العظمى في إيجاد الدويلة الإسرائيلية في فلسطين لا يتحدد

باحتلالها فلسطين وحدها و إنما يسعون من أجل تنفيذ مخططهم الذي يتضمن جر الأقطار العربية إلى المصير نفسه الذي انتهت اليه فلسطين، ولكن ورغم كل هذا، فإننا نلاحظ اليوم الجهاد الذي يخوضه المناضلون الفلسطينيون بهدف تسليم مصير فلسطين للفلسطينيين أنفسهم».

هكذا إذن يحدد الإمام الخميني مكمن الخطر والتهديد بالنسبة للأقطار العربية فإسرائيل لن تكتفي باغتصاب فلسطين، بل ستبقى تمثل الشرطي الذي يتهدد هذه الأقطار ويحافظ على مصالح الدول الاستعمارية في المنطقة؛ وهو من خلال تحذيره للدول العربية من هذا المخطط الذي يستهدف السيطرة الكاملة على المنطقة فإنه يضمن هذا التحذير دعوة الأقطار العربية إلى مواجهة هذا الخطر من خلال استخدام كل الأسلحة المتاحة من المعادن والثروات والإمكانيات الطبيعية الأخرى للعمل على الحد من نفوذ الدول الاستعمارية وقطع أيادي الصهاينة في فلسطين. ولا يقف عند حد تحذير الدول العربية، بل إنه يرى أن مخالب الاستعمار قد امتدت طويلاً لتصل إلى أعماق الدول الإسلامية حيث إن الاستعمار عبّأ فيها جميع قواته و إمكاناته بهدف بثّ التفرقة وتشتيت صفوف المسلمين، ويصل الإمام في نهاية بيانه إلى نتيجة هامة وهي أنه ورغم كل هذه الظروف الصعبة فإن الفلسطينيين تصدوا لهذا العدو وهم الآن يتحمّلون مسؤولياتهم من خلال الجهاد الذي يخوضونه ضد عدوهم وعدو العرب والمسلمين.

في عام ١٩٧٣م:

وعندما نشبت حرب تشرين عام ١٩٧٣م بين الدول العربية و إسرائيل فإن الإمام الخميني دعا هذه الدول التي تحارب اسرائيل إلى الصمود والمقاومة وامتلاك الإرادة القوية في هذه المعركة المقدسة، كما أنه دعا كل دعاة التحرر في العالم إلى أن يضموا أصواتهم إلى أصوات الشعوب الإسلامية، استنكارًا للاعتداءات الاسرائيلية اللاإنسانية و إدانتها.. كما أنه بشر بالفتح والظفر والانتصار إذا التزم المجاهدون بالصبر وتحمل الصعاب.

ففي نداء الإمام الخميني بعد بداية الحرب يقول:

«يجب على الدول التي تحارب إسرائيل الآن، أن تلتزم بالجدية في هذا الصراع الإسلامي المقدس، وأن تقوي إرادتها وتستقيم وتصمد في نهجها، وأن لا تغفل عن التواصي بالحق والصبر الذي يعد من الأوامر الإلهية للمسلمين المبشرين بالنصر والظفر».

عام ١٩٧٧م:

وعندما حدثت الخطوة الصاعقة والمفاجئة التي قام بها الرئيس المصري (أنور السادات) عام ١٩٧٧م، لتكون بداية التنفيذ العملي لإضفاء الشرعية العربية على إسرائيل، بعد أن عملت هذه الأنظمة طويلاً من خلال الصخب والضجيج الإعلامي بأن إسرائيل دولة لا تقهر، وأن الدول العربية لا تمتلك الأسلحة التي تستطيع مواجهة ذلك الكيان حيث إن بعضهم اقتنع بذلك، وبعضهم الآخر لا يستطيع أن

يغير موازين القوى التي تدعم إسرائيل والوجود الصهيوني في فلسطين.. فكانت اتفاقية كامب ديفيد المشؤومة. وعلى إثر هذه الاتفاقية قال الإمام الخميني (رض):

«إن اتفاقية كامب ديفيد، تعد مؤامرة تهدف إلى إضفاء الشرعية على الاعتداءات الإسرائيلية، وهي في النتيجة غيّرت الظروف والأجواء السائدة في المنطقة لصالح إسرائيل، وسببت الأضرار للعرب والفلسطينيين وهذه الحالة السائدة لن تقبل من قبل شعوب المنطقة» ثم يقول: «إن الشعب المسلم في إيران وجميع المسلمين والأحرار في العالم لا يعترفون مطلقًا بإسرائيل، و إننا سنبقى دومًا، نحمي وندافع عن الإخوة الفلسطينيين والعرب». وهكذا كانت اتفاقية كامب ديفيد أول معاهدة صلح تعقد بين العرب و إسرائيل لتكون بداية النهاية لصراع استمر طويلاً – كما أرادوا – ولكن هذه المعاهدة قوبلت فعلاً بالرفض الشعبي العارم – كما تنبأ الإمام – وعلى الرغم من هذا الرفض الشعبي فإنها خلطت الأوراق في المنطقة وأصبحت مصالحة إسرائيل والاعتراف بها وجهة نظر، وهذا ما أراده الاستعمار ويريده من العرب، وهو فك طوق العزلة عن هذه الغدة السرطانية الخبيثة من أجل أن تنتشر وتسيطر على كل المنطقة حتى تتمكن من أن تشكل الذراع الطويلة التي تخدم مصالح الإمبريالية العالمية، وهكذا كانت المأساة في كامب ديفيد.

بين عام ١٩٧٨. ١٩٧٩

ومع اندلاع الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني في مطلع عام ١٩٧٨م لم ينس الإمام أن يتابع ما يدور في فلسطين وأن يصدر النداءات المؤيدة للشعب الفلسطيني الداعية إلى الوقوف إلى جانبه ونجدته و إنقاذ فلسطين، كما كان يؤكد في كل فرصة، وفي غالب أحاديثه مع وسائل الإعلام إلى حد أنه قال في أحد نداءاته «إن من أسباب ثورة الشعب الإيراني ضد الشاه هو حمايته اللامحدودة لإسرائيل وتأمينه لاحتياجاتها النفطية، ولأنه جعل إيران سوقًا للبضائع الإسرائيلية، إضافة إلى دعم الشاه المعنوي لإسرائيل مع أنه يتظاهر بإدانتها كي يخدع العالم».

أي أن الإمام وهو في عز انتصاره على الشاه وفي ذروة ظفر الثورة الإسلامية يبين ويفضح موقف الشاه المخلوع المؤيد والداعم لإسرائيل، ويربط بين أسباب قيام الثورة الإسلامية، ويعدّ أن أحد الأسباب الرئيسية لها هو موقف النظام المخلوع من إسرائيل وانحيازه الدائم إلى جانبها.

وعندما سأله مراسل محطة التلفزيون الأمريكي (ABC (1 /12 /1978):

س: فيما لو سقط الشاه وتسلمتم السلطة مكانه فما التغييرات التي ستوجدونها حول العلاقة مع إسرائيل؟

ج: نحن سنطرد إسرائيل، ولن نقيم معها أية علاقة فهي دولة غابة ونحن أعداؤها.

س: هل يعني هذا أن إسرائيل لن تستفيد من النفط الإيراني؟

ج : لن تستفيد مطلقًا.

س: لن يضخ النفط إلى إسرائيل مطلقًا؟

ج: نعم.

وفعلاً خسرت إسرائيل أكبر دعائم لها في المنطقة وخسرت الإمبريالية أكبر قاعدة لها، وتوقف النفط والمساعدات والدعاية والإعلان، وتحول كل ذلك في مواجهة إسرائيل وقوى الاستكبار الأخرى.

وعندما وصل الإمام الخميني إلى مطار طهران في ١٩٧٩/٢/١م حاملاً بشائر النصر النهائي، لم ينسَ وهو في المطار الإشارة إلى ارتباط النظام المخلوع بإسرائيل وقال: «إذا ما استمر «بختيار» والجيش في مواجهة الشعب وبدعم من أمريكا وبريطانيا وقوات جيء بها من إسرائيل. كما فعل أسياده من قبل. عندها سنعرف كيف نواجهه ونقرر مصيره».

ومع اشتعال الثورة الإسلامية.. وانتصارها في شباط ١٩٧٩ كان الحماس الإسلامي يصل ذروته في كل العواصم الإسلامية.. وفي يوم الانتصار كان المسلمون في كل مكان بعضهم يهنئ بعضًا بعد الفتح المبين. أما في فلسطين المحتلة فلم يكن للفرح الفلسطيني مثيل.. الأمة تُبعث هنا من جديد، فالذين عاشوا كل تلك السنين تحت الحكم الإسرائيلي، ويعانون من العذاب والإحباط واليأس في صحراء العرب القاحلة شعروا أول مرة منذ

سنين أنّ تحرير بيت المقدس ممكن.. بل وقريب وأن المسألة مسألة وقت.. لقد أيقظت الثورة الإسلامية الجماهير المسلمة. أما في فلسطين فقد كان هناك بعث جديد ونهضة جديدة. واستُقبل قادة منظمة التحرير الفلسطينية في طهران في الأيام التي تلت الانتصار كما لم يُستقبلوا في أي مكان في العالم، واستقبل الإمام الخميني رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وسط أجواء احتفال مهيب..ولما حضروا التقى بهم الإمام في١٩٧٩/٢/١٩م.. قال الإمام:

«إننا ومنذ خمسة عشر عامًا، كنا قد قلنا كلمتنا حول فلسطين، إن وجهة نظرنا تلك بصدد قضية فلسطين، مازالت على قوتها السابقة، وسوف نولي هذه المسألة (وجود إسرائيل) أهمية أكثر في المستقبل، وبعد أن نرمم الخرائب التي ورثناها في بلدنا في عهد الشاه».

وبعد ذلك جاء إعلان يوم القدس العالمي.. وأعلن الإمام الخميني مفجر الثورة الإسلامية في هذا العصر عن تحديد يوم الجمعة الأخير من شهر رمضان من كل عام هجري يومًا للقدس، وذلك لإعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية التي كانت تقترب من نهايتها.. ومن أجل إعطاء القضية المركزية للأمة حجمها الطبيعي من الاهتمام. فهي قدس كل الأمة، وليست قدس الشعب الفلسطيني فقط أو العرب لا غير، ومن ثمّ فإن كل المسلمين مطالبون بالعمل من أجل التحرير بكل الوسائل والإمكانات

المتاحة أمام تلك المئات المنتشرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي الواسع.

ولهذا نجد الإمام يعبر عن مقولته عند إعلان تأسس يوم القدس: «إن آخر جمعة من شهر رمضان المبارك تعد يومًا للقدس.. ويوم القدس مجاور لليلة القدر، فيجب على المسلمين أن يحيوه.. إن يوم القدس يوم عالمي.. لا يختص بالقدس، بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين.. إنه يوم مواجهة الشعوب المستضعفة لتعلن عن وجودها أمام المستكبرين.. إنه يوم مواجهة الشعوب المستضعفة لتعلن عن وجودها أمام المستبكرين.. إن يوم القدس، هو يوم الإسلام، ويوم إحياء الإسلام وتطبيق قوانينه في البلاد الإسلامية، وهو اليوم الذي لابد فيه أن يمتاز الحق عن الباطل.. نسأل الله تبارك وتعالى، أن ينجّي إخواننا في فلسطين وجنوب لبنان وفي شتى بقاع العالم، من ظلم المستكبرين والقراصنة الدوليين».

هكذا يربط الإمام بين إحياء يوم القدس العالمي و إحياء ليلة القدر حيث إنه يعد هذا الإحياء واجبًا دينيًا يجب على كل المسلمين إحياؤه والقيام به، فهو أمر إلهي للدفاع عن الإسلام وتعاليمه، هذه التعاليم التي تحض على الجهاد في سبيل الله ومقاتلة الأعداء الذين استباحوا أرض الاسلام وعاثوا فسادًا بها، فهو هنا يعد المشاركة في إحياء يوم القدس جزءًا من الواجبات التي على المسلم القيام بها، كما أنه يطلب من كل المسلمين المشاركة في هذا اليوم الذي يعد يومًا لكل المسلمين وليس لشعب فلسطين أو للشعب العربي

فحسب. فهو هنا يؤكد مرة أخرى على طبيعة الصراع ويحدد القوى المشاركة في هذا الصراع، فهي أولاً شعب فلسطين والشعب العربي والشعوب الإسلامية في كل بقاع العالم، ومن جهة الأعداء: إسرائيل وكل من يقف وراءها من قوى الاستكبار والعملاء..

وأخيرًا نقول:

لقد أخذت القضية الفلسطينية موقعها في الخطاب الخميني من خلال أشكال متعددة لمعالجتها والتعامل معها.. فمنذ مطلع الستينيات في القرن العشرين وقبل الانطلاقة العلنية للثورة الفلسطينية دعا الامام الخميني كل المسلمين الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني لنصرة قضيته العادلة، واستمر هذا الاحتضان في جميع المناسبات.. وفي كل خطاباته وكلماته ونداءاته وبياناته كان يدعو إلى ضرورة دعم أبناء فلسطين، وأن لا يتركوا أمام العدو الصهيوني ليستفرد بهم من خلال آلته الإرهابية. وعندما عاد رضوان الله عليه عودته المظفرة من باريس قال: «اليوم إيران وغدًا فلسطين..» فهبت الجماهير المسلمة في طهران وترجمت هذا الشعار واندفعت كالسيل الهادر نحو (سفارة إسرائيل) وأحرقت العلم الإسرائيلي ورفعت مكانه علم فلسطين وتحولت (سفارة إسرائيل) إلى سفارة فلسطين، وبذلك تكون الجمهورية الإسلامية في إيران أول دولة في العالم تقيم سفارة لفلسطين. ولم يقف الإمام عند هذا الحد واستمر في احتضانه للقضية

الفلسطينية إلى أن أعلن يوم القدس العالمي في آخر جمعة من شهر رمضان المبارك كيوم يتضامن فيه كل المسلمين مع فلسطين وقضيتها المباركة.

ويستمر نهج الإمام.. فها هو الإمام القائد السيد علي الخامنئي مرشد الثورة يعلن أن فلسطين جزء من الجسد الإسلامي وواجب المسلمين الغيارى في يوم القدس أن يهبوا لنجدة الشعب الفلسطيني المظلوم ودعمه.

إن الكيان الإسرائيلي الغاصب، يشكل خطرًا عظيمًا أخشى أن تفوت الفرصة علينا، فيما لو سمح له المسلمون في التوسع، وعندها لا يمكننا الوقوف أمام توسعه، ونظرًا لأن احتمال الخطر يهدد أساس الإسلام فلابد لجميع المسلمين بشكل عام والدول الإسلامية بشكل خاص، أن يبذلوا كل جهدهم من أجل استئصال غدة الفساد هذه من المنطقة، وأن لا يتوانوا في تقديم المعونات إلى المدافعين عن فلسطين، وليبذلوا ما في وسعهم لدعم هذا الأمر الحيوي، فضلاً عن صرف حقوق الزكاة وباقي الحقوق المالية في هذا المجال.

الإمام الخميني (رض)